الشرارة

الماركسية اللينينية و تحرر النساء

مارس 2016

المركز الماركسي اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

عدد خاص ◊ باليوم الأممي للمرأة

www.acharara.info

محتويات العدد

الافتتاحية (الشرارة) 3

الماركسية اللينينية و تحرر النساء ـ الأطروحات الأساسية (وائل شاهين) 7

كلارا زتكين ـ المعلمة النسائية البروليتارية (علي محمود) 21

ألكسندرا كولونتاي ـ رائدة النضال الثوري النسائي (جميلة صابر) 28

حول أساليب العمل وسط النساء (تقرير كولونتاي أمام المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية) 34

افتتاحية

8 مارس و المسيرة الطويلة للنضال النسائي

يتزامن انطلاق " الشرارة" مع 8 مارس اليوم العالمي لنضال المرأة ، الذي يرجع الفضل للاحتفال به إلى الحركة العمالية الاشتراكية و طليعتها الماركسية.

إن سياق الاحتفال بيوم 8 مارس كيوم نضالي ، ارتبط تاريخيا باسم المناضلة النسائية الثورية الشيوعية كلارا زتكين ، فخلال الندوة الأممية الثانية للنساء الاشتراكيات المجتمعات في كوبنهاغن بتاريخ 8 مارس 1910 ، اقترحت كلارا خلق يوم عالمي للنساء كيوم للتظاهر للنضال من أجل الحق في الانتخاب و المساواة و الاشتراكية.

منذ هذا التاريخ دأبت الحركات العمالية و النسائية في العالم منذ أكثر من مئة سنة على تخليد هذا اليوم العالمي للمرأة المناضلة ، و يذكر التاريخ و تاريخ النضال النسائي خاصة ، ذلك الإسم العظيم الذي ألهم فكرة إحياء هذا اليوم دفاعا عن حق المرأة في التحرر من قيود المجتمع الطبقي الذكوري ، و من الاضطهاد و الاستغلال الرأسمالي ، إنه ببساطة ذلك الإسم الذي حلق عاليا في سماء النضال النسائي الثوري : كلارا زتكين.

إن الماركسيين – اللينينيين الحقيقيين في المغرب و العالم ، و هم يحيون هذا اليوم العالمي ، يستحضرون واقع المرأة عامة ، و المرأة العاملة خاصة ، في ظل نظام العولمة الامبريالية القائم على تعميم و عولمة الاستغلال و الفقر و الجوع و الأمية و التهميش و الإقصاء ، فليس جديدا على الرأسمالية استغلالها المكثف لعمل النساء ، و ليس جديدا كذلك تمفصلها و استيعابها لنظام البطرياركا ضمن آليات الاستغلال الرأسمالي الطبقي الذكوري ، فنمط الإنتاج الرأسمالي و نظام الباطرياركا كلاهما يغذي الآخر و يخدمه.

أما الجديد مع نظام العولمة الامبريالية ، فيتمثل في الهجوم على دور الدولة الاجتماعي و نفض الرأسمال يديه من أية مساهمة في المجالات التي تساهم في إعادة إنتاج قوة العمل ، عبر هجومه على الخدمات الاجتماعية و غيرها.

لقد ألقى هذا الوضع بثقله على الأسر الكادحة و الفقيرة و على الطبقة العاملة ، و انعكس على أوضاع النساء اللواتي يتحملن عبئ العمل المنزلي الذي تستفيد منه الرأسمالية ، باعتباره عملا غير مؤدى عنه يساهم في إعادة إنتاج قوة العمل .

لقد اتسعت رقعة الهجوم على العمل النسائي ، فالأرقام حول ما يسمى بالتنمية البشرية تثبت انخفاض و تراجع مستوى الأجور بالنسبة للنساء حتى في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، و يزداد الفقر بالنسبة للنساء و هو ما يطلق عليه

البعض ظاهرة " تأنيث الفقر".

و يعرف الميز الجنسي ضد النساء و اللامساواة تزايدا كبيرا في ظل الأزمة الخانقة للامبريالية ، و صعود الحركات الفاشية و الأصولية الدينية ، و ضغوط سياسات التقشف المملاة من طرف الحكومات الامبريالية و المؤسسات المالية الدولية التابعة لها ، و يتزايد العنف بمختلف أشكاله ضد النساء في أغلب دول مراكز الرأسمالية العالمية ، و تعيش هذه المجتمعات الرأسمالية اتساعا في رقعة العنف الجنسي بمختلف أشكاله ، فسدس نساء العالم يتعرضن للاغتصاب ، و تعرف تجارة الجنس ازدهارا كبيرا يدر على الرأسمالية ملايير الدولارات ، كما يزداد العنف الأسري الممارس ضد النساء و القتل و الجرح و الانتحار.

إلى جانب عولمة الاقتصاد الرأسمالي الامبريالي و نتائجه الكارثية على الطبقة العاملة و شعوب العالم و النساء ، يعيش العالم زمن عولمة الحروب التي تشنها الامبريالية على الشعوب بقيادة الامبريالية الأمريكية ، و في سياق استراتيجيات استعمارية جديدة لنهب خيرات الشعوب ، عبر تفتيت كياناتها الوطنية و تقزيمها لمصلحة الامبريالية (استراتيجية الشرق الأوسط الكبير ، ومشروع تفتيت الشعوب العربية و المغاربية ، خلق داعش وأخواتها...) . و تعاني النساء من نتائج هذه السياسات العدوانية في كل المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في كل من فلسطين ، العراق ، افغانستان ، سوريا ، اليمن و إفريقيا... و لعل الجديد في السنوات الأخيرة هو اختطاف و شراء نساء مغاربيات و عربيات و حتى أوربيات و تقديمهن قرابين للعصابات الإجرامية الفاشية ، التي زجت بها الامبريالية العالمية في العديد من البلدان كسوريا و العراق و أفغانستان و مالي ... و ذلك تحت غطاء إديولوجي يشرعن الاغتصاب و هو ما سمي بجهاد النكاح.

أما في بلادنا ، فالمرأة المغربية رغم مساهمتها الفعالة في الإنتاج الصناعي و الزراعي ، إضافة إلى تحملها عبئا متزايدا في سيرورة الإنتاج و تحملها عبئ الأسرة ، فالإحصائيات الأخيرة تقول أن عدد نساء المغرب من مجموع السكان يفوق عدد الرجال 50,8%.(16,5 مليون نسمة) ، 41,6% يعشن بالوسط القروي ، و أن ثلث المغاربة تعيلهم النساء ، و رغم ذلك فبعض الأرقام حول التصنيفات الدولية للمغرب تسجل احتلال المغرب المرتبة 133 من أصل 142 بلدا في التفاوت بين الجنسين ،سنة 2014 ، و المرتبة 135 على صعيد المشاركة الاقتصادية للمرأة ، و تصنيفه ضمن البلدان التي لها ثقافة محافظة من حيث قبول الدور السوسيو اقتصادي الذي تلعبه النساء في المجتمع ، كما أن حضور المرأة في مركز القرار ظل محدودا. و تخضع المرأة لاستغلال مكثف يتضافر فيه الإنتاج الرأسمالي الكمبرادوري التبعي و الباطرياركا كنظام متوارث عبر قرون ، حيث يساهم الدين الرسمي و الحركات الإسلامية الظلامية في تكريس دونية المرأة بشكل عام ، و المرأة العاملة بشكل خاص ، و تظل المرأة عرضة للطرد و تقليص ساعات العمل و التقليص من الأجور و الضرب بكل المكتسبات الاجتماعية.

إن السياسات الاقتصادية و الاجتماعية التي تنهجها الدولة الكمبرادورية ، و التي تتقيد بالتوجيهات اللاشعبية المرتبطة بمصالح الرأسمال الامبريالي و مؤسساته المالية ، ليس من شأنها إلا أن تزيد من تدني وضع المرأة العاملة ، خاصة مع مدونة الشغل ، الأداة القانونية الجديدة في خدمة الرأسمال الامبريالي الكمبرادوري.

إلى جانب الواقع الاقتصادي للمرأة المغربية العاملة ، فنساء المغرب بصفة عامة يعانين من ضعف الخدمات الصحية و ما لذلك من آثار خطيرة على صحة المرأة ، حيث تشير الأرقام إلى وفاة امرأة حامل كل 6 ساعات و النسبة مرشحة للارتفاع ، إذ أن كل التقارير المتعلقة بالصحة الإنجابية للمرأة في المغرب تثبت الواقع المزري للصحة ، فقد

دقت كثير من الدراسات ناقوس الخطر حيث يتزايد يوما عن يوم نسبة وفيات النساء الحوامل أثناء الوضع ، 227 حالة وفاة أم لكل 100 الف مولود ، و لا زال موضوع الإجهاض في المغرب يدخل في باب المحرمات لاسيما مع تخطيه 800 حالة في اليوم.

أما في ميدان التعليم فإن الطابع الطبقي للسياسات التعليمية و انعكاسه على الشباب و الشابات ذوي الأصول الكادحة يفقأ العين بشكل غير مسبوق ، و تتزايد نسبة الأمية بين النساء بشكل كبير و خاصة الكادحات منهن ، وتدل كل المؤشرات على أن المغرب لا زال يجتر واحدة من أكثر معدلات الأمية ارتفاعا في العالم و نصيب النساء في ذلك كبير جدا (تأنيث الأمية) ، فنسبة الأمية في صفوف النساء البالغات من العمر 10 سنوات فما فوق تقدر بحوالي 59% ، وترتفع النسبة عند النساء القرويات ، حيث أن 9 من كل 10 بدويات يعانين الأمية بمعدل 80% من النساء ، أما البطالة فهي أكثر ارتفاعا لدى الإناث مقارنة بالذكور ، فحسب صندوق النقد الدولي 16 % من النساء المغربيات عاطلات عن العمل خلال السنوات العشر الأخيرة ، كما تسجل الأرقام ارتفاع ظاهرة العنف ضد النساء و هو عنف بدني وجنسي و نفسي ، و ارتفاع نسبة الطلاق.

أما فيما يتعلق بمدونة الأسرة ، فادعاءات النظام الكمبرادوري و القوى الإصلاحية و المنظمات النسائية البورجوازية تكذبها مجموعة من الحقائق على الأرض ، فبعد مرور أكثر من عشر سنوات على صدور المدونة إلا أنه ما زالت هناك العديد من الممارسات منها:

- استمرار تزويج القاصرات ، و بالتالي استمرار الزواج المبكر.
- ارتفاع نسبة الطلاق.
- استمرار حضور أحكام الشريعة.
- تضاعف معدلات العنف الزوجي و الأسري.
- التناقض بين مواد المدونة و نصوصها و التعارض معها و خضوعها لتأويل القضاة ، و توجيه العدول ذوي العقلية الذكورية ، الذي يزيد من حدته التأثير المباشر و غير المباشر للحركات الأصولية الظلامية.

بالإضافة إلى ذلك يسجل غياب قانون لحماية المرأة من العنف حيث توجد إحصائيات مخيفة لعشرات النساء ينتحرن سنويا و أخريات يجهضن ، و هو عنف متعدد الأشكال جسدي و لفظي و نفسي و اقتصادي و جنسي يمارس من الزوج و الأب و الأخ و الأقارب و رب المعمل ...

كما تتعرض النساء السلاليات للإقصاء فيما يتعلق بحقوقهن تشريعا و ممارسة.

إن طريق النضال من أجل مدونة عصرية ديموقراطية و علمانية ، يبقى مطروحا على عاتق القوى الديموقراطية و الثورية الحقيقية ، من أجل انتزاع الحقوق السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للمرأة ، ضمن سيرورة الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية ذات الأفق الاشتراكي.

إن السياق العام الدولي و الوطني لليوم العالمي للمرأة ، يظهر الواقع المزري للمرأة في ظل نظام العولمة ، و يفضح طبيعة الاحتفالات الرسمية و غير الرسمية التي تقام كل يوم 8 مارس و التي تقوم على تمييع مضمون هذا اليوم و الاحتفال به ، و تجعل منه احتفال- فلكلرة ، بل أصبح يوما تربح منه الرأسمالية ملايير الدولارات (الهدايا) ، وبالتالي تسليع هذا اليوم كما تسلع المرأة.

أما الماركسيون- اللينينيون الثوريون في المغرب و عبر العالم ، و انطلاقا من المبادئ الماركسية اللينينية لتحرر

المرأة ، فيعتبرون أن النضال النسائي التحرري الثوري القائم على مفصلة ديناميكية بين النضال الطبقي و النضال الجنسي ، نضال مستمر لا يتوقف ضمن سيرورة متواصلة عبر مراحل ، في أفق بناء المجتمع الاشتراكي ، و ذلك خلافا للمفاهيم البورجوازية و البورجوازية الصغيرة ، التي تروج لها القوى الإصلاحية و التحريفية و الحركات النسوانية. إن تحرر النساء و تحقيق المساواة بين الرجل و المرأة يستحيل في ظل مجتمع طبقي ذكوري يقوم على الاستغلال الاقتصادي (الرأسمالية) و الاضطهاد الاجتماعي للمرأة (نظام البطرياركا). إن الماركسية- اللينينية تربط بين القضاء على الرأسمالية كنظام اقتصادي طبقي و بناء الاشتراكية ، و بين تحرر المرأة من نظام البطرياركا الذكوري ، و بين تحرر المجتمع برمته ، فلا تحرر للنساء بدون تحرر المجتمع و لا تحرر للمجتمع بدون تحرر النساء.

و أمام الهجمة الامبريالية ، و الدور الرجعي للنظام الكمبرادوري في بلادنا في تكريس دونية المرأة و اضطهادها ، و أمام الهجوم الإديولوجي المعادي لتحرر المرأة الذي تروجه أبواق النظام المختلفة و دور الدعاية الظلامية ، التي تسعى إلى العودة بوضع المرأة إلى عصور غابرة ، و أمام انتشار الأطروحات البورجوازية و البورجوازية الصغيرة حول تحرر المرأة ، فإنه علينا كماركسيين- لينينيين ، الدفاع عن المنظور الاشتراكي البروليتاري لتحرر المرأة ، و المساهمة في بناء حركة نسائية اشتراكية ثورية في سياق بناء حركة نسائية جماهيرية حقيقية.

فتحية لكل نساء العالم بعيدهن الأممي.

تحية لنضال المرأة المغربية المكافحة من أجل حقوقها.

تحية لكل المناضلين و المناضلات الثوريين و الثوريات المدافعين و المدافعات عن قضية المرأة.

عاش نضال المرأة العاملة المغربية الكادحة.

الشرارة

8 مارس 2016

الماركسية اللينينية و تحرر النساء
الأطروحات الأساسية

I- المقدمات

1 ـ تحرر النساء و أكاذيب الرأسمالية الحديثة

تقوم الرأسمالية الحديثة (الامبريالية المعولمة) بترويج العديد من الأطروحات المزيفة حول تحرر النساء في ظل النظام الرأسمالي المعولم ، و ذلك بالاستناد على بعض المكتسبات التي انتزعتها حركة النضال النسائي في البلدان الرأسمالية ، خاصة في الستسنيات و السبعينيات من القرن الماضي (تعميم وسائل منع الحمل ، انتشار آلات الغسيل ...) .

و تعيد الأحزاب و التيارات و الحركات الاشتراكية الديموقراطية إنتاج نفس الخطاب بمساحيق مختلفة حول التحرر الجنسي و الكوطا و غيرها من مكتسبات المرأة البرجوازية ، التواقة إلى المساواة مع الرجل البرجوازي في إدارة الأعمال و الخوض في السياسة ، أي تكريس الاستغلال و الاضطهاد الرأسمالي للأغلبية الساحقة من المجتمع (عمال ، كادحون ، فلاحون ...).

لكن الحقائق على الأرض تفضح زيف هذا الخطاب و ما يخفيه من احتقار للنساء ، اللواتي يتعرضن لكل أشكال الاضطهاد ، من عنف و تشييء عبر استعمالهن اجتماعيا و سياسيا و جنسيا.

كما أن الفضائح التي تهز أركان الطبقات البرجوازية المتعفنة ، من خلال تورط الشخصيات السياسية العليا للمجتمع البرجوازي(حالة دومنيك كان ستراوس ، حالة الوزراء و البرلمانيين في بريطانيا و رؤساء الدولة و الشركات الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية...)

و لا ينجو المجتمع الرأسمالي الحديث من نتائج التفسخ الأخلاقي الذي لا يستثني حتى الأطفال ، و هو ما يعبر عنه الانتشار الواسع للبيدوفيليا (فضائح الفاتيكان و رجال الدين حول اغتصاب الأطفال داخل المؤسسة الكنسية المسيحية ، تورط وزراء حكومات فرنسية متوالية في فضائح اغتصاب الأطفال...).

إن انتشار مثل هذه السلوكات المنحطة ، لدليل قاطع على ذلك الاحتقار الدفين للنساء و الأطفال من طرف الطبقات البرجوازية السائدة و مؤسساتها السياسية و الدينية و غيرها.

و يشكل العنف الممارس ضد النساء ترمومترا آخر يكشف درجة الاضطهاد الذي تتعرض له النساء ، فعدد النساء المعنفات و المغتصبات و المتحرش بهن و

المقتولات و المجروحات و المنتحرات كل سنة في الدول الرأسمالية الكبيرة (أوربا ، أمريكا) في تزايد مستمر ، و حتى الأرقام المتوفرة ، لا تعكس العدد الحقيقي ، لأن الغالبية العظمى للنساء لا زلن لا يشتكين و يتكلمن عن ذلك حتى لأقرب أقربائهن.

و يساهم تصاعد النزعات الفاشية ، و انتشار التيارات الأصولية المرتبطة بالأزمة الخانقة التي تضرب بقوة أركان النظام الرأسمالي العالمي في تصاعد درجات التمييز ضد النساء. و في سياق الهجوم الذي تشنه الرأسمالية المعولمة (الامبريالية المعولمة) على الطبقة العاملة من خلال تكريس و انتزاع العديد من مكتسباتها السابقة (تكريس الهشاشة في الشغل والعقدة المؤقتة ، تحرير الأجور ، نزع المكتسبات الاجتماعية ، ضرب العمل النقابي ، تقييد الحق في الإضراب...) تتعرض النساء إلى المزيد من التمييز و الاضطهاد و الإقصاء ، و ذلك من خلال ضرب مكتسباتهن السابقة التي انتزعنها عبر نضال مستميث ضد الاستغلال الرأسمالي و نظام البطرياركا الاجتماعي ، و هكذا بدأ التراجع عن العديد من حقوق المرأة ، كالحق في استعمال موانع الحمل و الحق في الإجهاض ، الشيئ الذي يضرب بحقهن في التصرف في أجسادهن ، و في سياق سياسة التقشف التي تنهجها الحكومات البرجوازية ، والتي تحاول من خلالها تحميل الطبقات العاملة و الكادحة والنساء تبعاتها ، يتم إغلاق مراكز التوقيف الإرادي للحمل و يتم هذا في سياق حملات هجومية لليمين الفاشي و الديني و التيارات المعادية لحقوق المرأة.

و تقوم أبواق الدعاية الرأسمالية بحملات مكثفة و ممولة من طرف الدولة الرأسمالية و الشركات متعددة الجنسيات (الاستيطان) ، من أجل تحريف الطموحات المشروعة للنساء في التحرر الجنسي و الاجتماعي ، و من أجل تحرير العلاقات بين الرجل و المرأة من العقلية الذكورية و السادية والفلوقراطية (تقديس القضيب) و التمييز الجنسي ، نحو خدمة الصناعات الرأسمالية عبر تشييئ جسد المرأة و تسليعه (انتعاش صناعات أدوات التجميل و التجارات المربحة للأشياء ذات صلة بما يسمى " السعادة" (مواد التنحيف و البرونزاج) ، و ازدهار الصناعة البورنغرافية التي تدر ملايير الدولارات على الرأسماليين ، إضافة إلى انتشار الدعارة بكل أنواعها و خاصة اختطاف و تهجير النساء من الدول التابعة و تعريضهن لاستغلال وحشي لا نظير له.

يساهم الإشهار الذي يعتمد كل الوسائط المكتوبة و المسموعة و المرئية أيضا في بث صورة مشيئة عن المرأة و عن العلاقات الجنسية ، هكذا يتم تحويل المرأة إلى مجرد جسد خاضع للاستيهامات المستلبة و الأحكام المسبقة ، و هي عملية مزدوجة يتم من خلالها تحويل الرجال إلى عبيد لتلك الرغبات و الاستيهامات المصطنعة ، و يتم تنميط جسد المرأة من خلال تقديس شبابية المرأة و نحافتها و إبراز ما يسمى صفاتها المثيرة أو الجاذبة للرجال كما تحددها معايير الجمال البرجوازي. إن هذه الصورة المنمطة نفسها يتم تصديرها إلى الدول التابعة من خلال القنوات و الوسائط المختلفة ، و عبر قنوات الموضة و هوالشيئ الذي أثقل كاهل أسر هذه البلدان.

2 ـ الامبريالية و المرأة في الدول المتخلفة

تروج الآلة الدعائية للرأسمالية الامبريالية لأطروحة مفادها ، أن الحضارة الغربية هي أكثر احتراما للمرأة منها في بلدان الشرق التي تتبنى الإسلام أو الهندوسية أو غيرها من الديانات ، و غالبا ما يتم إعطاء أمثلة دول

غارقة في الرجعية كالعربية السعودية و الهند و مجموعة من الدول المتخلفة.

و الحقيقة أن هاته الأطروحة ، بالإضافة إلى كونها عنصرية و امبريالية ، تخفي حقيقة أوضاع المرأة في هاته البلدان التابعة ، حيث تتعرض النساء إلى الاستغلال الفاحش و المكثف على يد الشركات متعددة الجنسيات و بشراكات مع الرأسمال الكمبرادوري لهذه البلدان ، التي يتم نهب خيراتها و مواردها الطبيعية ، و تكريس غياب الحقوق الاجتماعية و المدنية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للمرأة في هذا الميدان.

و من المعلوم لدى الجميع ما تتعرض له النساء في ما يسمى بالمناطق الحرة التي تفرضها اتفاقات الشراكة مع هذه الدول التابعة.

إن استعمال الدين من طرف الأنظمة الرجعية في الدول التابعة لكبح الطموحات التحررية للنساء ، حقيقة ثابتة تؤكدها تجارب النساء في العديد من البلدان و خير مثال على ذلك المنطقة العربية و المغاربية.

و مما يفضح مزاعم الأطروحة الرأسمالية السابقة الذكر كون نفس الأنظمة ، بشراكة مع الرساميل الامبريالية الغربية ، تقوم بترويج ما يسمى بالسياحة الجنسية و بتصدير النساء كرقيق أبيض إلى المراكز الرأسمالية ، حيث تمارس عليهن أشد حالات الاستغلال و الاضطهاد و العنصرية (مثال الفتيات المغربيات و الرومانيات و التيلانديات و الفلبينيات و البرازيليات و غيرهن)

و غير بعيد عن المراكز الرأسمالية نفسها ، تنتشر الدعارة و الاستغلال الفاحش و العنصرية في حق النساء المهاجرات الإفريقيات و المغاربيات و نساء أوربا الشرقية الحالمات بالفردوس الأوربي.

إن خير دليل على سقوط النموذج " التحرري" للرأسمالية الامبريالية ، فشله الذريع في اجتذاب النساء المهاجرات إلى قيمه المتهاوية حيث يزددن تشبثا بإطارهن الثقافي الأصلي الذي يكرس دونية المرأة مما يشكل صفعة لهذا النموذج.

إن الأنظمة الرجعية في البلدان التابعة تمارس أقسى شروط و ظروف استغلال و اضطهاد المرأة ، حيث يتكاثف الاستغلال الامبريالي الكمبرادوري ، و تشرعن الثقافة الرجعية و الدين و آليات الاضطهاد الاجتماعي من خلال تمفصل نمط الإنتاج التبعي و نظام البطرياركا (استغلال طبقي و جنسي و اضطهاد اجتماعي).

و في البلدان العربية و المغاربية تستفيد الأنظمة الرجعية و ربيباتها الحركات الظلامية من دعم أو صمت الأنظمة الامبريالية التي تدعي نفاقا أنها تدعم تحرر النساء في هذه البلدان.

و الحال أن انتشار الأفكار الظلامية و الحركات السياسية المرتبطة بها ، يتم على أرضية فشل حركات التحرر الوطني في هذه البلدان التي تم إجهاضها من طرف الامبريالية و الطابور الخامس في هذه البلدان ، المدعم من طرف الرأسمال العالمي و الممول كذلك من ملايير البترودولار ، الموزعة بسخاء على عناصر و فئات تخدم المخطط الامبريالي الرجعي و الصهيوني ، و تفضح الحقائق على الأرض الشعارات الامبريالية حول ما تسميه بمحاربة الإرهاب ، بحيث لا تجد مضضا في تدعيم الحركات الظلامية و الأصولية و الإرهابية ، و الأمثلة على ذلك كثيرة (ليبيا ، تونس ، المغرب ، سوريا ، مصر...) و ذلك ضمن ما يسمى باستراتيجية الشرق الأوسط الكبير ، الذي أصبح يعتمد على القوى الظلامية كأدوات سياسية و عسكرية لتنفيذ مخططاته في تفتيت الشعوب و الدول ، و تحقيق ما يسمى بسايكس – بيكو الثانية خدمة للمصالح الامبريالية و الصهيونية.

فلا عجب أن يستفيق العالم على جريمة ضد الإنسانية التي تمارس ضد النساء في سوريا ، تحت غطاء ما يسمى ب"جهاد النكاح" ، و لا غرو كذلك أن أبواق الإعلام الامبريالي تطبق الصمت حول الجرائم المنتشرة

ضد النساء ، من قبيل تزويج الطفلات (في سن تسع سنوات) و بتر الأعضاء الجنسية للطفلات (ختان البنات) الذي يتم تحت مبرر الحد من شهوانية المرأة (حوالي 80 مليون من البنات عبر العالم تم ختانهن بطريقة بشعة).

3 ـ بصدد بعض النظريات الخاطئة حول دونية المرأة

يخوض الفكر البرجوازي بكل منوعاته ، حربا شعواء ضد الفكر الماركسي ، و من بين الأطروحات التي يتم تسليط الهجوم عليها ، تلك الأطروحات الأساسية التي تقدم من خلالها النظرية الماركسية تفسيرا علميا و تاريخيا لجذور اضطهاد المرأة.

و من بين الحقول العلمية التي تحظى باهتمام كبير من طرف الفكر البرجوازي هناك حقلا البيولوجيا و الأنتروبولوجيا لأنهما حقلان مرتبطان بأوضاع المرأة ، و بطبيعة الحال يخضع هذان الحقلان إلى جانب حقل التاريخ ، إلى الهيمنة المطلقة لمؤرخي و إديولوجيي و علماء المجتمع الطبقي البطريركي ، بما يعني أن الرجال هم الذين يكتبون عن النساء ، و بطبيعة الحال بالخلفية المذكورة أعلاه.

و من بين مجموع النظريات البرجوازية في هذا المجال هناك نظريتان:

أ- **نظرية الرحم :**

تنطلق هذه النظرية من اعتبار البيولوجيا هي قدر النساء ، لأن وظيفة الأمومة تحكم على المرأة بالدونية ، و من تمة يجب اعتبار الطبيعة هي المسؤولة عن اضطهاد النساء. و بطبيعة الحال كانت المرأة محكوم عليها بالتبعية للرجل ، لأنها غير قادرة عن الدفاع عن نفسها و في أمس الحاجة إلى الجنس الذكوري لتلبية حاجياتها و حاجيات أبنائها.

هكذا أصدرت الطبيعة حكمها على المرأة بدونية أبدية ، و الحقيقة أن الطبيعة بريئة من ذلك. تقول إيفلين ريد (أنتربولوجية أمريكية):

"ـ لم تكن النساء في الطبيعة تعانين من نقائص بالنسبة للرجال ...فقط مع مجيء المجتمع الطبقي البطريركي أصبح التكوين البيولوجي للنساء ذريعة إديولوجية من أجل إبقائهن في وضع العبودية" (المرجع : " هل البيولوجيا قدر النساء ؟"إيفلين ريد).

إن تدهور وضعية المرأة و دونيتها تاريخيا ، هو نتاج مؤسسات المجتمع البشري بما هو مجتمع طبقي بطريركي لم يكن له وجود في المجتمعات البدائية. يقول فردريك انجلز:

"ـ إن أول تضاد بين الطبقات ظهر في التاريخ يصادف تطور التناحر بين الزوج و الزوجة في ظل الزواج الأحادي ، و أول اضطهاد طبقي يصادف استعباد جنس النساء من قبل جنس الرجال. لقد كان الزواج الأحادي تقدما تاريخيا كبيرا ، و لكنه يدشن في الوقت نفسه ، إلى جانب العبودية و الثروة الخاصة ، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة في أيامنا ، و التي يعني فيها كل تقدم تراجعا نسبيا ، و التي يتحقق فيها ازدهار و تطور البعض بآلام البعض الآخر و قمعه.

إن الزواج الأحادي إنما هو هذه الخلية من المجتمع المتمدن التي تمكننا من دراسة طبيعة التناحرات و التناقضات المتطورة تماما في قلب هذا المجتمع".(" أصل العائلة و الملكية الخاصة و الدولة" فريدريك انجلز).

انطلاقا من الفكرة التي وضحها انجلز ، لا يجد الماركسيون صعوبة في دحض هذا التزوير للتاريخ الطبيعي و الاجتماعي على يد مثقفي و إديولوجي المجتمع

الطبقي الذكوري ، الحاملين لنظرة جنسوية مشوهة ، تبرر اضطهاد النساء بناءا على كونهن يحملن في أحشائهن رحما يحكم عليهن بالدونية ، و هذا جوهر الأطروحة البيولوجية حول دونية المرأة أو ما يسمى بنظرية الرحم.

و لهذه الأطروحة نتائج عملية ، جوهرها رفض نضال النساء ضد الاضطهاد و مطالبتهن بتحررهن بدعوى أن مشاكلهن تأتي من تكوينهن الجيني.

و بنفس الطرح ، فلما ستناضل النساء من أجل تغيير المجتمع إذا كان لا يمكن لهن تغيير بيولوجيتهن ؟

تلك هي الأسطوانة المشروخة التي يرددها أنصار نظرية الرحم ، و من هؤلاء ، أولئك الذين يقدمون أنفسهم كعلماء في البيولوجيا و الانتربولوجيا ، الذين يتناسون تلك المعادلة البسيطة التي تقول: بما أن النساء لا يمثلن شيئا و هن الأصل ، فكيف سيكون الرجال و هم الفرع ؟ و يقول المثل: ذلك الغصن من تلك الشجرة.

و يظهر الطابع الإديولوجي لهذا الطرح ، من خلال الخلط بين العالم الحيواني و الإنساني ، علما أن هذا الطرح يقفز على القطائع الحاسمة بين البشر و الحيوان ، ذلك أن الإنسان هو كائن اجتماعي انفصل عن أصله وشروط عيشه الحيواني ، منذ زمان و ذلك عبر الدور الذي احتله العمل كنشاط إنساني متميز ، ساهم في تلك القطيعة النوعية مع عالم الحيوان.

و لذلك انفرد الفكر الماركسي على يد مؤسسيه الكبار: انجلز و ماركس بفهمهما لتفرد الكائن البشري ، باعتباره نتيجة سيرورة تميزت بقطيعة في لحظة ما (للمزيد من الاطلاع انظر (ي) بحث انجلز تحت عنوان " دور العمل في تحول القرد إلى إنسان").

ب- نظرية الصيد:

لا تختلف نظرية الصيد عن سابقتها نظرية الرحم من حيث تبريرها لدونية المرأة ، أما وجه الاختلاف فيعود إلى كون النظرية الثانية تعتمد على أول تقسيم للعمل بين الجنسين ، من حيث أن الرجال كانوا صيادين و محاربين بينما كانت النساء قاطفات يقمن بالسخرة في المنزل أو في التجمعات العشائرية.

حسب هذه النظرية ، فنشاط الرجل مختلف عن نشاط المرأة ، و هو الأهم من حيث درجة قيمته ، بينما عمل المرأة يبقى دونيا و ثانويا ، لأن عائق الرحم (و هنا تلتقي "نظرية الرحم" "بنظرية الصيد") حكم على النساء بالبقاء في المنزل و الاهتمام بالأطفال ، و الحقيقة التاريخية تبين العكس ، فقد احتلت النساء موقعا رئيسيا و سياديا داخل الاقتصاد المنزلي ، حيث يدور عصب حياة العشيرة على هذا الاقتصاد فالنساء يوفرن الغذاء ليس فقط على ما يأتي به الرجال و هو أمر ثانوي و غير منتظم ، بل من أعمالهن كنساء يقمن بقطف الجذور و النباتات و يكتشفن أوليات الزراعة... و هن بذلك كن من يزودن العشيرة باللوازم الضرورية الأكثر استقرارا و اكتفاءا ، بينما كان الصيد نشاطا هشا ، فغالبا ما كان الذكور يرجعون خاليي الوفاض فيعتمدون على النساء في تلبية حاجيات التغذية الآنية ، و لم يكن نشاط النساء في هذا المجال يتوقف عند هذا الحد ، بل كن يتحكمن في مراقبة التموين و التخزين من أجل ضمان استمرار التغذية في المستقبل ، و من أجل ذلك صنعن الفخار و القدور ، أضف إلى ذلك أن الاقتصاد المنزلي المشاعي القائم على المساواة بين الجنسين و التوزيع المتساوي بين أعضاء المجموعة المشاعية للمنتجات ، كان مجتمع كفاف بالأساس ، لا يتوفر فيه أي فائض يسمح باستغلال مجموعة من طرف مجموعة أخرى ، أو اضطهاد جنس من طرف جنس آخر ، إن هذا النشاط الاجتماعي و الاقتصادي كان في غالبه نشاطا نسائيا بامتياز ، فلم يقتصر نشاط النساء على توفير التغذية فقط ، بل تعداه إلى صنع الفخار و حياكة الألبسة و تدجين الحيوانات و صنع الدواء و أعمال التطبيب الأولى ، و اكتساب المعرفية العلمية الأولى و تعلم آليات الزراعة الأولية و

تربية الأطفال ، في ظل مجتمع كانت فيه وظيفتا الأمومة و الأبوة وظيفتان اجتماعيتان ، هكذا إذن كان النساء هن عماد هذا الاقتصاد المنزلي المنتج.

فهل أمام هذه المعطيات التاريخية يمكن اعتبار نشاط الصيد هو النشاط الأساسي في هذا المجتمع ، و من تمة تبرير دونية المرأة بهذا التقسيم الطبيعي للعمل بين الجنسين.

هكذا إذن يظهر زيف هذه الأطروحة و تهافت أصحابها.

4 ـ رهانات الخلاف مع التيارات و الحركات النسوانية

إن الخلاف مع الحركات و التيارات النسوانية ينطوي على عمق فلسفي ، إديولوجي ، سياسي ، استراتيجي و حتى على مستوى المفهوم التنظيمي.

فمثلا ، من يدافعون عن مفاهيم مثل " النساء يشكلن فئة" أو " النساء يشكلن طبقة" فالعدو الرئيسي هو الرجل ، مما يسقط في خطإ استراتيجي ، أما الذين يدافعون بوضوح عن الجوهر الطبيعي لدونية المرأة كما سبق أن رأينا ، فهؤلاء يرفضون تبرير أو شرعنة النضال النسائي على اعتبار أن الدونية هي الأصل ، و سيبقى الأمر كذلك لأن البيولوجيا هي قدر النساء.

خلافا لهذه الأطروحات و منوعاتها ، تقف الماركسية على أرضية علمية و تاريخية ، تربط دونية المرأة بجذورها التاريخية و الطبقية على قاعدة منهجية تحليلية ، قوامها المادية التاريخية التي استطاع بها كارل ماركس و فريديريك انجلز اكتشاف مفتاح لغز الاضطهاد التاريخي و الطبقي و الجنسي للمرأة. (انظر(ي) مخطوطات ماركس و كتاب انجلز " أصل العائلة و الدولة و الملكية الخاصة") و هما بذلك قدما خدمة كبيرة لجنس النساء.

إن النظرية الماركسية كنظام للتفسير ، تقف على قاعدة تعتمد على أطروحة أساسية ، و هي أن تطور اضطهاد النساء مرتبط أشد الارتباط بانقسام المجتمع إلى طبقات ، و سيظل الأمر كذلك ما لم يتم القضاء على هذه المجتمعات الطبقية الذكورية.

تتوفر هذه الأطروحة على مضمون عميق يجيب عن و يشرح و يفسر مجموعة من القضايا و المستويات التي يمكن تلخيصها في ما يلي:

-أ- لماذا في ظل الرأسمالية كل النساء مضطهدات ؟ و في نفس الوقت النساء المنتميات إلى طبقات مختلفة لهن مصالح متناقضة (هذه النقطة تمثل الخط الفاصل بين الحركات النسائية البرولتارية و الحركات النسوانية البرجوازية).

-ب- لماذا نساء و رجال نفس الطبقة يمكن أن يكون لهم نفس المصالح و في نفس الوقت لهم مصالح متنازع عليها ؟(المرأة العاملة تقتسم نفس المصالح التي للعامل بحكم الانتماء إلى نفس الطبقة ، و مصالح متنازع عليها معه باعتبارها امرأة أو زوجة ، لذلك قال انجلز أن المرأة بمثابة البرولتاري في المنزل...).

-ج- لماذا تظل كل الأطروحات التي تفصل بين البطرياركا و الرأسمالية ، أطروحات سطحية ؟ (لا تستطيع تحديد العدو الحقيقي و الاستراتيجية الصحيحة لتحرر النساء)

-د- لماذا النضال من أجل تحرر النساء يجب أن يكون مرتبطا بالقضاء على الرأسمالية ؟ لا تحرر للمرأة بدون تحرر المجتمع و لا تحرر للمجتمع بدون تحرر المرأة.

-هـ- لماذا على النساء أن يقمن تنظيمات خاصة بهن للدفاع عن مصالحهن و في نفس الوقت ينخرطن في النضال العام من أجل تحرر المجتمع من الرأسمالية و

تحرر النساء و الرجال على قدم المساواة ؟

- II- المادية التاريخية والمسألة النسائية

المقدمة

- ظلت المسألة النسائية عبر قرون الاضطهاد الطبقي والجنسي ، حبيسة النظرة الذكورية التي كانت تنظر إلى المرأة ككائن ثانوي و تابع للرجل ، باعتباره الكائن الأساسي.

حجب الواقع الطبقي و نظام الباطريركا الرؤية عن المفكرين و الفلاسفة و رجال الدين و الكهنة ، الذين ظلوا جميعا في إنتاجاتهم و تشريعاتهم يعيدون إنتاج الواقع السائد و يكرسونه في قضية المرأة ، لذلك بقي الطرح القديم سجين النظرة الأخلاقية و الفلسفية المثالية.

-ـ إن المسألة النسائية بوصفها مسألة اجتماعية عينية ، هي نتاج عصر الرأسمالية و الصراعات الطبقية المرافقة لها. فتحرير النساء من قيود الماضي الإقطاعي و تحويلهن إلى يد عاملة و سلعة في سوق العمل الرأسمالي ، كان مطلبا اجتماعيا للبرجوازية الصاعدة. لقد شكلت حاجة الرأسمالية إلى يد عاملة نسائية رخيصة قاعدة الأساس لطرح مسألة تحرير المرأة في المجتمع البرجوازي. إن جوهر المسألة النسائية من المنظور الماركسي هو تأمين المساواة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الحقوقية الكاملة للمرأة.

-ـ لقد كانت النظرية الماركسية هي الأقدر على النفاذ إلى الجوهر عند تحليلها لجذور الاضطهاد المزدوج الذي تعاني منه النساء: باعتباره اضطهادا طبقيا و جنسيا محددا تاريخيا. و يعود ذلك:

*ـ لكونها (أي الماركسية) انبثقت من الكفاحات العمالية و اندمجت بها منذ نشأتها الأولى ، و استوعبت جوهر المشروع التاريخي للطبقة العاملة.

*ـ لتوفرها على السلاح النظري الثوري المرتكز إلى الفكر المادي الجدلي و التاريخي.

لقد كان اكتشاف المادية التاريخية في سياق الصراعات الطبقية للرأسمالية ، مكسبا هاما للفكر التقدمي الإنساني ، فالمادية التاريخية باعتبارها علما للتاريخ ، تمتلك نظرية عامة ، متميزة بأدواتها التحليلية العلمية و بحثها للتاريخ من خلال دراسة أنماط الإنتاج المختلفة والتشكيلات الاجتماعية التاريخية ، مع تحديد بنيتها و تكوينها و ميكانيزمات اشتغالها وةأشكال الانتقال من واحدة إلى أخرى.

هكذا أصبح ممكنا إدراك جوهر القضية النسائية بتحديد علمي لجذورها الطبقية و التاريخية.

و يعتبر الإنجاز الماركسي في الكشف عن جذور الاضطهاد الذي تتعرض له النساء إحدى الإسهامات الأساسية للفكر الثوري في عصرنا ، يحق لكل النساء الكادحات و المضطهدات أن يفتخرن به.

تقف الماركسية على أرضية علمية و تاريخية، تربط دونية المرأة بجذورها التاريخية و الطبقية على قاعدة منهجية تحليلية، قوامها المادية التاريخية التي استطاع بها كارل ماركس و فريديريك انجلز اكتشاف مفتاح لغز الاضطهاد التاريخي و الطبقي و الجنسي للمرأة

1- الجذور التاريخية والطبقية لاضطهاد المرأة (الأطروحات الماركسية)

مقدمة:

في تناقض جذري مع كل الأطروحات المحقرة للمرأة و المكرسة لدونيتها ، و المتفقة جميعها ، على كون النساء عشن دائما مضطهدات ، و شكلن على امتداد التاريخ جنسا تابعا في ظل العائلة الأحادية ، كتكوين اجتماعي فوق التاريخ ، كانت و ستبقى السيادة فيه للرجل ، تقف الماركسية على أرضية علمية و تاريخية تعتبر أن:

-انبثاق "العائلة الأحادية" قد تزامن في سيرورة تاريخية واحدة مع انحلال و تفكك المشاعات البدائية ، و الانتقال إلى المجتمع الطبقي "الأبوي" ، الذي قام على أنقاض النظام الأمومي المشاعي ، حيث النساء كن متساويات مع الرجال.

-نهاية المجتمعات القائمة على الحق "الأمومي" ، التي استبدلت بالمجتمع الطبقي و مؤسساته: العائلة الأبوية ، الملكية الخاصة و سلطة الدولة ، لازمها في نفس الوقت إخضاع لجماهير واسعة من الرجال من طرف الطبقة المسيطرة منهم ، و بذلك كما يرى انجلز ، يكون اضطهاد الرجل للمرأة هو أول شكل من أشكال الاضطهاد الطبقي.

-ظهور العائلة الأحادية لأول مرة في التاريخ ، كان مشروطا بانحلال و تفكك المشاعة البدائية ، مما يعني حدوث تحولات أساسية في بنياتها الاقتصادية والاجتماعية ، وصل حدا أصبح معه ممكنا:

*-نشوء قوى اجتماعية متسلطة حولت لصالحها فائضا من الإنتاج الاجتماعي ، مما جعل بالإمكان أن يقوم مجتمع قائم على الاضطهاد الطبقي وعلى اضطهاد الرجل للمرأة.

*.تحول الملكية المشاعية إلى ملكية خاصة (وسائل الإنتاج و الثروات) بيد الرجل سمح بظهور العائلة الأبوية القائمة على الاضطهاد الجنسي للنساء.

2- من القطيع البدائي إلى العشيرة المشاعية

تفنيدا لمزاعم الإيديولوجيات الرجعية المنكرة لوجود مجتمعات عرفت المساواة بين المرأة و الرجل ، تؤكد علوم الإناسة و التاريخ و غيرها من العلوم الاجتماعية ، نقيض ذلك ، بإثباتها لوجود تلك المجتمعات ، بل و بتحديد الكيفية التي تم الانتقال إليها. هكذا اتضح من خلال معطيات البحث التاريخي:

-أن انتقال الإنسان من الحالة الحيوانية (l'état zoologique) إلى الحالة الاجتماعية ، تزامن مع ظهور العمل كنشاط واعي و اجتماعي للإنسان. لقد ولدت لديه ، الضرورة ، و تراكم الخبرات في النضال من أجل سد حاجياته البيولوجية ، و الدفاع عن نفسه من أجل البقاء ، النزوع نحو صنع أدوات تكفل له سد حاجياته المادية و مواجهة أهوال و أخطار محيطه الطبيعي.

في هذا السياق سيلعب العمل من حيث هو نشاط جماعي واعي ، دور الرابط المشترك بين المنتمين إلى القطيع (hordes) ، حيث سيوفر شروط القفزة النوعية بالانتقال من الحالة الحيوانية إلى الحالة الاجتماعية. و في هذا النشاط الجماعي الذي شكل العمل محوره نشأت وسيلة التخاطب و تبادل الأفكار و التفاهم: اللغة. العمل و اللغة هما العنصران الحاسمان في عملية التحول هاته

(تطور الجسد و المخ). مع العمل تولد المجتمع البشري فنشأت المشاعات البدائية ، أي تكوين اجتماعي قوامه العشائر المشاعية التي تعيش منعزلة عن بعضها البعض ، و تجمع أعضائها رابطة الدم و القربى في ظل اقتصاد الكفاف.

-.تدرج الإنسان في صنع أدوات العمل على امتداد آلاف السنين فانتقل من العصر الحجري القديم (paléolithique) أي ما بين 35 ألف سنة و 10000 سنة ما قبل الميلاد..مرحلة ظهور الإنسان الحديث المسمى homo sapiens .إلى العصر الحجري الحديث (néolithique)، فالعصر الأول تميز بصنع الأدوات الحجرية غير المصقولة ، الرمح ، و القوس ، و السهم و الوتر و أواني خشبية و حياكة يدوية ، بينما تطور في المرحلة الثانية بصنعه للأدوات الحجرية المصقولة التي سمحت له بصنع السفن بواسطة الفأس الحجرية.

لقد دام استعمال الحجر لصنع أدوات العمل آلاف السنين ، و مع اكتشاف النار انتقل الإنسان إلى صنع الأدوات المعدنية النحاسية أولا ، ثم البرونزية فالحديدية ، و باستعمال المحراث ذو السكة الحديدية و تدجين الحيوانات و تشكل القطعان و استعمال الدواب كقوة جر ، عرف الإنتاج الزراعي و الحيواني قفزة هائلة واكبت التطور الحاصل في قوى الإنتاج.

- **التكوين الاجتماعي للمشاعة البدائية:**

كان نظام الإنتاج الاجتماعي في المشاعة البدائية ، تحكمه علاقات اجتماعية أساسها:

* ملكية مشتركة لوسائل الإنتاج.

*.الكفاف هو طابع الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ، فلا وجود لفائض في الإنتاج الاجتماعي ، و بذلك انعدم الأساس المادي لوجود الملكية الخاصة ، الطبقات ، الاضطهاد الجنسي و استغلال الإنسان للإنسان.

*.العمل جماعي و متضامن ، يقوم على التعاون في زراعة الأرض و تنظيم الصيد (الحيوانات الضخمة). كان هناك تقسيم طبيعي للعمل: حسب الجنس و حسب السن ، و تخصصت النساء في القطف و العمل المنزلي الذي كان نشاطا اجتماعيا ضروريا.

*.في مجتمع الكفاف هذا ، كان المنتوج الاجتماعي ثمرة العمل الجماعي يخضع لتوزيع متساو.

- **العائلة الأميسية :**

كانت المشاعة البدائية قائمة على الاقتصاد المنزلي (économie domestique) المشاعي ، الذي كانت تديره المرأة ، و كان نشاطا اجتماعيا ضروريا للمجتمع مثله مثل حصول الرجال على وسائل العيش عبر الصيد مع تفوق الأول على الثاني لاستقراره و هشاشة الأول. و كان هذا هو الأساس الفعلي لتلك المكانة الرفيعة التي كانت تحظى بها المرأة في الأزمنة البدائية الأولى. و العائلة الأميسية هي هذا التكوين الاجتماعي الذي حظيت فيه المرأة باحترام كبير ، و كان الاعتراف بالأم يعني أن خط النسب يتبعها. هنا الأبناء و البنات هم أعضاء في عائلة تشكلها مجموعة من الأقارب يجمعهم النسب من جهة الأم. فالإنتاج الجماعي و التملك الجماعي ، صاحبتهما تربية جماعية و مشتركة للأبناء ، فالأبوة إلى جانب الأمومة كانت عبارة عن وظائف اجتماعية ، و ليست عائلية بالمعنى الضيق الذي نعرفه.

3 ـ سيرورة تفكك المشاعة البدائية و الانتقال إلى المجتمع الطبقي

جاء هذا التفكك نتيجة عوامل عدة ، أبرزها التطور الحاصل في قوى الإنتاج و الانتقال من اقتصاد الصيد و القطف ، إلى نمط إنتاج أكثر تطورا ، عماده الزراعة و تربية المواشي و ظهور الصناعة الحرفية.

مع الانتقال إلى هذا الطور و "بفضل زيادة إنتاجية العمل البشري وتراكم الثروات ، ازداد النظام الاقتصادي تعقيدا مع الأيام ، فكانت نهاية المشاعة البدائية و الحياة في إطار قبائل منغلقة على ذاتها. و قد حل مكان المشاعة البدائية نظام اقتصادي قائم على الملكية الخاصة و المبادلات المتنامية أي التجارة ، و بات المجتمع من ذلك الحين منقسما إلى طبقات". في ظل هذه الشروط تزايد مركز الرجل مع تزايد الثروة ، و باتت أدوات العمل في ملكيته ، و هو مصدر الغذاء الجديد (الزراعة و تربية المواشي) ، و سيتم استبدال التقسيم الطبيعي ، للعمل بقسمة اجتماعية للعمل أكثر تعقيدا ، تبعا ، و بحثا عن الزيادة في فعالية العمل. هكذا أصبح ممكنا إنتاج فائض مهم شكل الأساس المادي لانقسام المجتمع إلى طبقات مع بروز تمايزات طبقية أساسها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج (أرض ، قطعان ، عبيد...). و في سياق هذا الانتقال توفرت تدريجيا شروط استعباد المرأة و اضطهادها.

إن تقسيم العمل سيصبح قائما على أساس التمايز بين الجنسين:

- الاحتكار الكامل من طرف الرجل للعمل المنتج.
- تهميش المرأة و اقتصارها على المهام الثانوية (عمل البيت وخدمة الرجل).

هناك إذن إبعاد للمرأة عن الإنتاج الاجتماعي (مصدر سيادتها في المشاعة البدائية) و حصول هذا التحول كان نتيجة حتمية لانفصال الاقتصاد المنزلي المشاعي ، عن اقتصاد القبيلة و تعويضه بالاقتصاد المنزلي الفردي ، إضافة إلى ظهور تنظيمات اقتصادية مستقلة بعد انفصال الحرف مثلا ، و استقلالها عن الاقتصاد المنزلي المشاعي و بروز التبادل.

في الاقتصاد العائلي الفردي فقدت النساء دورهن كمنتجات رئيسيات و أصبحن أسيرات المطبخ ، بينما أصبح الذكور يحتكرون الأعمال الإنتاجية الخارجية. و ترى كولونطاي "أن الملكية الخاصة ، التي أفسحت المجال أمام قيام الاقتصاد المنزلي الفردي ، قد ساهمت إذن في استعباد المرأة عندما خصتها بالعمل داخل البيت ، أي بعمل محدود و غير منتج. و هكذا فقد عمل المرأة أهميته من منظور اقتصادي ، و باتت المرأة تعتبر مخلوقا غير ذي قيمة بالمقارنة مع ممثل القيم الجديدة أي بالمقارنة مع الرجل".

- تثبت المعطيات التاريخية ، أن العائلة كتكوين اجتماعي نظم العلاقات الاجتماعية بين المرأة و الرجل ، و بين الآباء والأمهات و الأبناء و البنات ، يعيش دائما على إيقاع التغيرات ، جنبا إلى جنب مع تغير أنماط الإنتاج و مجموع العلاقات الاجتماعية ، فمن حياة القطيع بدون قواعد تحكم العلاقات الجنسية و بدون وجود للعائلة كما نعرفها إلى العائلة الجماعية (زواج جماعي) ، في ظل نظام أمومي (matriarcat) ثم العائلة الأحادية القائمة على النظام الأبوي (patriarcat) ،- و التي لازالت قائمة إلى يومنا هذا ، رغم التحول الذي عرفته بعد القضاء على العائلة البطريركية الواسعة ، و بروز العائلة النووية في ظل المجتمع الرأسمالي: يقول ماركس محللا تناقضات العائلة العصرية "إن العائلة العصرية لا تنطوي على جنين العبودية (servitus) و حسب ، بل أيضا على جنين القنانة ، لأنها مقرونة منذ بادئ بدء بفروض خدمات الزراعة ، و هي تنطوي بشكل مصغر على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع و في دولته". (من أرشيف ماركس انجلس).

- إن ظهور العائلة الأبوية (الأب أو الزوج: رب العائلة و الزوجة و الأبناء معه تحت سقف واحد) لازمه ظهور الملكية الخاصة و المجتمع الطبقي ، و أصبح خط النسب هنا يتبع خطا ذكوريا أبويا حتى يضمن الرجل توارث ثرواته و ممتلكاته في خط نسبه ، و قد كان إسقاط الحق "الأمومي" هزيمة تاريخية عالمية للجنس

النسائي "(انجلز).

لقد عايشت العائلة الأبوية أنماط الإنتاج الطبقية المختلفة ، من عبودية و إقطاعية و رأسمالية ، و اختلف شكلها في المجتمعات الزراعية عن شكلها في المجتمعات الصناعية ، لكن جوهرها ظل واحدا ، فقد كانت أول شكل للعائلة لم يرتكز على الشروط الطبيعية ، بل ارتكز على الشروط الاقتصادية ، و نعني بها انتصار الملكية الخاصة على الملكية المشتركة البدائية ، و العقوبة سيادة الزوج في العائلة و ولاء أولاده الذين هم من دمه و صلبه يرثون ثروته في المستقبل ، ذلك كان الهدف الوحيد من الزواج الأحادي " و عليه لا يدخل الزواج الأحادي إطلاقا في التاريخ بوصفه اتحادا اختياريا بين المرأة و الرجل ، و لا حتى بوصفه الشكل الأعلى لهذا الاتحاد ، بل بالعكس فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل الآخر ، كإعلان لتناقض بين الجنسين لم يعرفه التاريخ كله من قبل". (انجلز)

-إن اضطهاد المرأة ، هو إذن ، حصيلة تحولات اجتماعية كما تقول ايفلين ريد (انظر كراس: النساء: فئة ، طبقة ، أم جنس مضطهد؟) دمرت مجتمع المساواة: مجتمع العشيرة الأميسية التي تم استبدالها بمجتمع طبقي بطريركي مصبوغ منذ نشأته بالامتيازات و اللامساواة ضمن عدم المساواة بين الجنسين.

إن نمو هذا التنظيم الاجتماعي الاقتصادي الاضطهادي ، هو سبب انحدار النساء التاريخي ، لقد كان دور المرأة الاقتصادي في المشاعة البدائية ضربا من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمع ، لكن مع تحول الدور في المجتمعات الطبقية أصبح الرجل يملك الثروة و يسيطر على قوى الإنتاج الأساسية في المجتمع ، و قد كرست التشريعات و الإيديولوجيات المختلفة هيمنة الرجل و دونية المرأة.

هكذا بعد فقدان موقعها المرموق في المشاعة البدائية ، أصبحت المرأة إلى يومنا هذا تعاني من اضطهاد مزدوج ، ضمن إطار المجتمع و ضمن إطار الأسرة ، و بتعبير ايفلين ريد كان القضاء على "أخوية النساء" في المشاعة البدائية قد أدى إلى القضاء على مقابلها "أخوية الرجال" الذين أخضع الغالبية منهم للطبقات السائدة.

"إن أول تعارض طبقي ظهر في التاريخ تزامن مع تطور التعارض بين الرجل و المرأة في الزواج الأحادي ، و تزامن الاضطهاد الطبقي الأولي مع اضطهاد جنس الذكور لجنس الإناث" كولونتاي.

4- الرأسمالية و الاستغلال الطبقي و الجنسي للمرأة

دامت مرحلة ولادة المجتمع الرأسمالي أربعة قرون (من القرن 14 إلى القرن 18).تحقق خلالها الانتقال في المجتمعات الأوروبية من تشكيلة اجتماعية إقطاعية إلى أخرى رأسمالية ، و جاء هذا الانتقال نتيجة عوامل اقتصادية و تاريخية قضت على الاقتصاد الزراعي الإقطاعي ، و أحلت محله اقتصادا صناعيا رأسماليا. فعلى امتداد قرون تراكمت الرساميل النقدية في المدن الأوروبية ، و ذلك عن طريق النهب و الاستيلاء على الأراضي و منتوجاتها ، عن طريق التجارة الوطنية و الدولية و عن طريق الربا و نهب المستعمرات. كل ذلك بوسائل دموية زاوجت بين العنف و السرقة ، و تدريجيا تم القضاء على الملكية الصغيرة للأرض ، أساس الإنتاج العائلي في البوادي الذي كان موجها أساسا لتلبية الحاجيات الأولية للعائلة الفلاحية (الاستهلاك الذاتي). نفس المصير سيلقاه الإنتاج البضاعي الصغير (P P M) أساس العائلة الحرفية في المدن ، و محل الإقطاعي

السيد ، حل المقاول الوسيط المشتري لقوة عمل الفقراء خاصة النساء. فأمام تقلص مقاومة المؤسسة العائلية بسبب انهيار شروط الإنتاج السائد ، و كثرة الحروب الأهلية المدمرة ، عجت سوق العمل بنساء الحرفيين و الفلاحين المفلسين و الفلاحات الراغبات في التخلص من الأعباء الثقيلة للسادة الإقطاعيين ، و أرامل الحروب الأهلية و القومية و النساء الجياع و اليتيمات...

شكلت النساء الضحايا الأولى لجشع المقاولين الوسطاء الذين أطلق عليهم بحق نعت "مصاصي الدماء". و قد تنوعت أشكال استغلال النساء ، و كان من بينها ظهور "العمل في البيت" كشكل وسيط بين الصناعة الحرفية و بين العمل المأجور ، كان ضربا جديدا من الاستغلال ، يتم عن طريق تزويد النساء بالمواد الخام ، ثم الالتزام بالبقاء في المنزل للعمل 14 إلى 15 ساعة متواصلة في اليوم الواحد مقابل أجور زهيدة جدا. لقد كان نظام العمل المنزلي المفروض على النساء الباحثات عن عمل ، نظاما استغلاليا دمويا ، استعمل فيه المقاولون و الوسطاء كل وسائل الضغط و الابتزاز ضد النساء كالتهديد بتسليم الفلاحات الهاربات إلى أسيادهن الإقطاعيين ، و اتهام المتوحدات منهن بالتشرد و العهارة و بعقوبات خطيرة تسنها القوانين السائدة.

-إن ما يميز الرأسمالية .و منذ نشأتها الأولى .هو إطلاقها لسيرورة تاريخية قضت بالفصل الجذري بين المنتج (الفلاح .الحرفي) و وسيلة إنتاجه (الأرض ، و أدوات العمل) التي كانت ملكية شخصية ، فحولت الأول إلى عامل (أو عاملة) و الثانية إلى ملكية خاصة لطبقة جديدة هي البرجوازية. و أصبح الرأسمال بعد الانتقال من التجارة إلى الصناعة ، علاقة اجتماعية جوهرها ملكية خاصة لوسائل الإنتاج ، مقابل عمل مأجور منتج لفائض القيمة. و خلال الفترة الطويلة التي استغرقها التراكم البدائي للرأسمال (بوسائل دموية و عنيفة) تم تحويل الغالبية من الرجال و النساء (فلاحين وحرفيين...) إلى يد عاملة ، و أصبحت قوة العمل بضاعة تباع و تشترى في سوق العمل.

في ظل المجتمعات ما قبل رأسمالية (سيادة الاقتصاد الطبيعي = الأرض وسيلة الإنتاج الأساسية) تعايش الإنتاج البضاعي الصغير (P P M) بشكل تنافسي مع الاستهلاك الذاتي القائم على الملكية العائلية للأرض و الإنتاج العائلي. فلما استطاع الرأسمال أن يتسرب إلى الإنتاج ، بعدما تجمعت الرساميل الضرورية لذلك ، و نشأت المانيفاكتورات بتأثير من ذلك ، استطاعت الرأسمالية ، بانتقالها إلى العصر الصناعي و إقامة أول نمط إنتاج يقوم على تعميم البضائع و التبادل و التعامل النقدي ، أن تقوض الأسس الاقتصادية التي قامت عليها العائلة البطريركية الواسعة ، بتحطيمها لأنماط الإنتاج العائلي و الفردي و الملكية العائلية للأرض.

ضعفت إذن مقاومة المؤسسة العائلية بسبب انهيار شروط الإنتاج السابقة ، و أصبح الزواج كمؤسسة اجتماعية لا يشكل بالنسبة للمرأة ضمانة كافية من أجل تأمين حياة الاستقرار. هكذا استطاعت الرأسمالية انتزاع النساء من الاقتصاد الزراعي العائلي لصالح نمط إنتاج صناعي ، فجذبتهن إلى سوق العمل بعد تحويلهن إلى يد عاملة مأجورة ، اندفعت المرأة خارج البيت بحثا عن عمل تحصل به على أجرة شخصية وتصبح معيلة لعائلتها.

بعد مجيء نظام الباطرياركا ، و اندثار الاقتصاد المنزلي المشاعي ، فقد عمل المرأة القيمة التي كان يحظى بها باعتباره جزءا رئيسيا في الإنتاج الاجتماعي للمشاعات البدائية ، و ظلت المجتمعات ما قبل رأسمالية توظف عمل المرأة في الإنتاج الفلاحي بشقيه النباتي و الحيواني ، بل حتى الصناعة الحرفية كانت تلجأ إليه لدعم احتياجاتها. لقد كان عملا تابعا و غير معترف به و لا يؤدى عنه ، يخضع لشروط الإنتاج السائدة القائمة على

الملكية العائلية و الإنتاج العائلي الذي يقوده رؤساء الأسرة و البيت: الأب ،الأخ ،الزوج. أما الرأسمالية فقد أدخلت الأجر الشخصي مقابل عمل المرأة (استعمال قوة عملها) ، فالمرأة العاملة مثلها مثل العامل أخضعت لشروط إنتاج الرأسمالية القائمة على استغلال قوة العمل وانتاج فائض القيمة ، و أصبح للمرأة إذن وظيفة خارج البيت وخارج الأسرة ، و قد جعلها هذا أمام تناقضات جديدة و نزاعات حادة مع الأسرة و مع المجتمع.

هذه العودة إلى الإنتاج الاجتماعي أدخلت المرأة في تناقض مع واقع الأسرة. فالرأسمالية على غرار الأنماط الإنتاجية السابقة لا تعترف بالعمل المنزلي للمرأة ، حيث تعتبره عملا غير منتج رغم مساهمته في إعادة إنتاج قوة العمل وإنتاج الأجيال من العمال والعاملات ، (الإنجاب). و يبقى هذا العمل الذي يرهق كاهل النساء خدمة خاصة تبدد طاقات المرأة و تبلد ذهنها ، فالمغاسل العامة و المطاعم الشعبية و رياض الأطفال ليست شأنا رأسماليا إلا قليلا.

فالعائلة النووية (المصغرة) منظمة على أساس وحدة سكنية: المنزل الخاص حيث حياة الطبخ ، و الغسل ، و الإنجاب ، و العناية الصحية بالأطفال... وراء هذا التقسيم إيديولوجية فردانية تمجد الاستهلاك الفردي ، و تنمط العلاقات الاجتماعية الأكثر حميمية ، و تدمر التواصل الاجتماعي للنساء ، حتى لا يتحولن إلى قوة اجتماعية مهددة للنظام القائم. لا غرو ، إذن ، أن يتم استغلال النساء كمستهلكات ، و كمادة للدعاية و الإشهار و الإثارة الجنسية.

لقد استلبت المجتمعات الرأسمالية المرأة و أبقتها على الرغم من كل القوانين التي سنتها عن المساواة بين الرجال و النساء ، أسيرة المفاهيم التقليدية الذكورية السابقة: أداة إنجاب و أداة متعة ، في ظل علاقات اجتماعية و إيديولوجية طبقية بطريركية سائدة ، تساهم المرأة و الأسرة في إعادة إنتاجها ، إلى جانب مؤسسات إيديولوجية أخرى كالمدرسة و وسائل الإعلام و المؤسسات الدينية...

هكذا يتغذى النظام الطبقي الرأسمالي باستمرار من نظام اضطهاد ظهر منذ آلاف السنين: أي الباطرياركا ، و يفاقم باستمرار سماته الاضطهادية ، و تعمق "العولمة الرأسمالية" الراهنة رغم كل ادعاءاتها عن الحرية و المساواة هذا الاتجاه ، فقد جعلت من الأسرة كوحدة اقتصادية ، هشة اجتماعيا و مستلبة إيديولوجيا و مشيئة ، مكانا اضطهاديا للنساء بامتياز. و بالفعل أصبح اضطهاد النساء يمثل أداة بين يدي الرأسماليين تتيح تدبير مجمل قوة العمل ، بل حتى تبرير سياستهم بنقل مسؤولية "الرفاه الاجتماعي" من كاهل الدولة و مؤسساتها الجماعية ، و القائه على عاتق الأسرة(المرأة خاصة) ، دون حتى الاعتراف الشكلي بعمل المرأة ، رغم أن مساهمة النساء غير المرئية ، و التي لا يعبر عنها بقيمة نقدية أو تقاس بالأجور الجاري بها العمل ، قدرت بالنسبة لسنة 1995 (.حسب P N U D 95) ب 11000 مليار دولار ، و يقدر الإنتاج العالمي لنفس السنة (حسب P N U D 95) ب 23000 مليار دولارا. و من 95 إلى الآن علينا إن نتصور حجم هذه المساهمة.

اجتماعيا ، تقوم سياسة "الرأسمال المعولم" على ضرب استقرار العمل و تفكيك التشريعات الاجتماعية تحت شعار مرونة الشغل و الأجر ، و تتعرض مجانية التعليم و الصحة و التغطية الاجتماعية و دعم المواد الأساسية للضرب ، و تساهم السياسات المفروضة على دول العالم كسياسة التقويم الهيكلي و الخوصصة في تعميق الفقر لدى الجماهير الكادحة و توسيع رقعته ليطال حتى بعض الفئات الوسطى ، بل يشهد العالم اتساع ظاهرة "تأنيث الفقر" بشكل لم يسبق له مثيل. فمن بين مليار و 300 مليون من الأشخاص الذين يعيشون تحت عتبة الفقر 70 % منهم نساء ، و تعاني النساء بشكل كبير من سياسات و برامج التقويم الهيكلي

و الخوصصة التي فاقمت من أوضاع المرأة في مجالات التمدرس و الصحة ، و انتشار الأمية ، و التمييز في الأجور و المداخيل ، و الخدمات (رياض الأطفال) و التشغيل الليلي ، و تزايد العنف ضد النساء ، و الاغتصاب ، و القتل و الانتحار...

و علينا تصور الوضع بالنسة للمرأة العاملة و الكادحة و حتى بالنسبة للنساء المنتميات لما يسمى الطبقات الوسطى بعد انفجار الأزمة الأخيرة للاقتصاد الامبريالي و انعكاساتها داخل المجتمعات الرأسمالية المركزية و داخل أطراف النظام الرأسمالي العالمي.

5-الرأسمالية وتناقضها الأساسي

إن التناقض الأساسي للرأسمالية هو التناقض بين العمل و الرأسمال و يتخذ الآن ، في زمن "العولمة الرأسمالية" التي نعيش طورها الحالي ، طابع تناقض كوني بين البرجوازية و البروليتاريا.

فالتغيير الجذري و الكامل للعلاقات الاجتماعية نحو مجتمع المساواة يمر بالضرورة عبر القضاء على استغلال الإنسان للإنسان ، و على كل أشكال الاضطهاد ، و الوصول إلى هذا الهدف يستدعي حلا ثوريا لتناقض الرأسمالية الأساسي و تحقيق الاشتراكية على طريق بناء المجتمع الشيوعي. إنه الطريق الوحيد للتقدم الاجتماعي الحقيقي ، اقتصاديا ، سياسيا ، إيديولوجيا و ثقافيا.

إن منظورنا للنضال النسائي ، مرتبط أشد الارتباط بمنظورنا للنضال السياسي الطبقي. و الفارق بيننا و بين الحركات النسوانية هو الموقف الطبقي و التحليل الطبقي. و بالنسبة لنا لا وجود لحقوق و حريات متعالية عن الصراع الطبقي.

يقول لينين:" إن وضع المرأة مرتبط بشكل لا انفصام فيه باعتبارها إنسانا و عضوا في المجتمع بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج.هنا الفارق بيننا و بين حركة النساء البرجوازية. هذا هو أساس طرح المسألة النسائية كجزء من المسألة الاجتماعية العمالية، و من تم ربطها بالنضال الطبقي و بالثورة ".

إن نقد الحركات النسائية البرجوازية و البرجوازية الصغيرة و تعرية طابعها الطبقي و مساندة نضالات المرأة العاملة و الكادحة و العمل على رفع وعيها السياسي الطبقي ، هما المهمتان الرئيسيتان للمرحلة القادمة ، و ذلك على طريق بناءالحزب الماركسي اللينيني للطبقة العاملة المغربية ، و بناء الأدوات الذاتية لتحرر النساء في ظل تصور استراتيجي يجمع بين النضال الخاص بالنساء و النضال العام من أجل الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية و الاشتراكية.

وائل شاهين

4 مارس 2014

كلارا زتكين
المعلمة النسائية البروليتارية

بقدر ما أنجب الفكر الاشتراكي الثوري معلمين بروليتاريين من أمثال ماركس و انجلز و لينين ، فقد أنجب أيضا معلمات بروليتاريات بصمن الفكر الاشتراكي الثوري ببصمات لا تنمحي ، و على رأس هؤلاء المعلمات ، المعلمة النسائية البروليتارية كلارا زتكين.

كان ميلاد كلارا في 5 يوليوز 1857 تحت اسم كلارا إسنيربسيمنس في منطقة الساكس ، كان أبوها معلم قرية فتوجهت بدورها إلى التعليم في " المدرسة العليا للبنات" في مدينة لبتزيغ.

خالطت كلارا منذ منتصف 1870 الحركات النسائية ، حيث شاركت في العديد من نقاشات "الجمعية العامة للنساء الألمانيات" ، ثم بدأت تلتحق بالحركة الاشتراكية .

في سنة 1878 نجحت كلارا بتفوق في امتحان المدرسة العليا ، لكن رغم حبها الكبير لمهنة التدريس فلم يكن أكبر من حبها للفكر الاشتراكي ، حيث ستختار الانتماء إلى الأفكار الاشتراكية التي كانت تتطور بارتباط مع النمو الصناعي لألمانيا في عهد بيسمارك.

لا يمكن الحديث عن كلارا زتكين دون ربطه بمواطنها أوغست بيبيل الذي لعب دورا بالغا في فكرها ، و أيضا لا يمكن الحديث عن أوغست بيبيل دون ربطه بكتابه "المرأة و الاشتراكية" الذي تأثرت به كلارا أيما تأثر ، فما هو السياق الذي يندرج فيه هذا الكتاب ، و ما تأثير الأفكار الواردة فيه على كلارا ؟

في سياق الحملة الشوفينية التي انتشرت في ألمانيا على إثر الحرب الألمانية – الفرنسية لسنة 1870 ، تعرضت الحركة الاشتراكية الألمانية لحملة قمع واسعة مست حتى ممثلي الحزب الاشتراكي داخل البرلمان . في هذا المناخ سيتم اعتقال أوغست بيبيل الذي سيقضي ثلاث سنوات في السجن بتهمة إهانة " صاحب الجلالة" و خلال تواجده في السجن قام بيبيل بتأليف كتابه : "المرأة و الاشتراكية" ، الكتاب الذي لعب دورا كبيرا في تغيير وعي الملايين من الناس.

طبع هذا الكتاب بسويسرا ، و نظرا للرقابة المناهضة للاشتراكية في ألمانيا ، فقد دخلت آلاف النسخ منه إلى ألمانيا بغلاف مزيف تحت عنوان : "تقارير مدراء المقاولات" ، و قد عرف الكتاب نجاحا باهرا و منقطع النظير.

كانت الحركة الاشتراكية تعرف مواجهة كبيرة مع

الرأسماليين و الدولة الرجعية البسماركية ، و ما كان على الحركة العمالية أن تتخلى عن نصفها الآخر في تلك المعركة الحاسمة ، و كان على بيبيل أن يواجه الأحكام المسبقة المنتشرة آنذاك حول المرأة حتى في صفوف الطبقة العاملة.

في المؤتمر الأول للأممية الأولى ، الذي انعقد بجنيف سنة 1866 حاول أنصار" برودون" استصدار قرار من الأممية يمنع عمل النساء ، إذ بحسب هؤلاء فإن المكان الطبيعي للمرأة هو المطبخ و مهنتها الطبيعية هي الأمومة ، بل إن العاملات أنفسهن كن تحت تأثير هذه العقليات المتخلفة ، حيث كانت لا زالت قيود الماضي تنيخ بكلكلها على النساء ، فقد كانت العاملات الشابات يضعن كل أملهن في زواج يبعدهن عن العمل في المانفاكتورات و لو أدى ذلك بهن إلى العودة للمطبخ.

قام بيبيل في كتابه السابق الذكر بوضع المسألة النسائية في سياق السيرورة الاجتماعية التاريخية ، بدراسة موثقة حول الاضطهاد الذي عانت منه النساء عبر التاريخ ، مبينا العلاقة الوثيقة القائمة بين المسألة النسائية و المسألة الاجتماعية ، بين تحرر النساء و التحرر الشامل للمجتمع من قانون الربح ، و يقول بيبيل في هذا الصدد:

"في المجتمع الجديد ستكون المرأة اجتماعيا و اقتصاديا مستقلة بشكل شامل، لن تكون خاضعة و لو قليلا للبسيطرة و الاستغلال، ستكون حرة تجاه الرجل، ستكون مساوية له و متحكمة في مصيرها، ستتلقى نفس التربية كالرجل باستثناء الجوانب التي تعرف تميزا بين الجنسين، و هي تعيش في ظروف طبيعية يمكن أن تطور كل قواها و قدراتها الجسمانية و الفكرية، ستختار رغباتها بشكل أحسن، و كذلك ميولاتها و استعداداتها، ستعمل في نفس ظروف الرجل ... و لاختيار شريكها في الحب ستكون حرة كما الرجل، و تكون لها مبادرة المغازلة مثل الرجل، و لا تدخل في علاقة إلا بأخذ عواطفها بعين الاعتبار"

(المرجع : المرأة و الاشتراكية) .

لقد كان لهذه السطور أثر بالغ في تلك المرحلة.

كرمت كلارا مرارا عمل بيبيل باعتباره أحد الرواد الأوائل في هذا المجال ، و قد سعت للتعرف عليه شخصيا ، و قد كان لها شرف ذلك. تحت تأثير هذه الأفكار ستولد كلارا الاشتراكية و المناضلة النسائية.

في 1878 قطعت كلارا علاقتها مع عائلتها و انخرطت في الحزب الاشتراكي الألماني(س.ا.ب) ، و هو النسخة الأولى للحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني ، الذي قام بسمارك بمنعه في نفس السنة ، و قد شاركت كلارا في الاجتماعات الاشتراكية السرية و ستتعرف على الثوري الروسي أوسيب زتكين (مناضل شعبوي مطرود من روسيا ، ستقوم السلطات الألمانية باعتقاله و طرده سنة 1890).. كما سيتم طرد كلارا من ساكس نحو زيوريخ السويسرية حيث ستلتحق بأوسيب سنة 1892 في باريس ، حيث عاشا هناك في فقر مذقع في المقاطعة الثالثة عشرة ، و قد نتج عن زواجهما ابنان هما مكسيم و كونستانتان.

كانت كلارا تشتغل محررة في جريدة الحزب المسماة " الاشتراكي الديموقراطي" ، و بالرغم من أن كلارا لم تكن متزوجة بشكل رسمي فقد تبنت اسم رفيقها و حافظت عليه حتى الموت.

كان أوسيب سكرتيرا لأول مجموعة عمالية روسية في

الخارج خاصة في باريس ، و كان مع كلارا يحرران مراسلات موجهة للصحافة الاشتراكية الألمانية ، و خلال هذه الحقبة تعرفا على لويز ميشيل (إحدى قائدات كومونة باريس) و كذلك جول غيسد و بول لافارغ زوج لورا ابنة ماركس.

لم يدم العمر طويلا بأوسيب زتكين إذ نخر داء السل جسمه و توفي سنة 1889.

كل هذه الظروف التي أحاطت بكلارا و الأحداث التي عاشتها ، جعلت منها منظرة الحركة النسائية البروليتارية التي لا يشق لها غبار ، و قد بدا ذلك منذ مساهمتها في تهيئ المؤتمر العمالي الدولي في يوليوز 1889 ، و هو المؤتمر الذي تولدت عنه الأممية الثانية حيث قدمت كلارا تقريرا عن أوضاع العاملات في ظل الرأسمالية ، و ألقت أول خطاب في حياتها ، و مما جاء في هذا الخطاب:

" بالنضال يدا في يد مع العمال الاشتراكيين، تظهر النساء استعدادا تهن لكل التضحيات و مجهودات النضال وبنفس الدرجة هن مستعدات، و باستحقاق لانتزاع حقوقهن بعد الانتصار".

كانت تدخلات كلارا حاسمة في قرار الأممية الثانية الذي دعا الاشتراكيين في كل البلدان إلى إشراك النساء في النضال الطبقي ، و سنة بعد ذلك أدمج برنامج الحزب الاشتراكي الديموقراطي المسمى برنامج "إيرفورت" مطلب المساواة الاقتصادية و السياسية و القانونية للمرأة.

هكذا و في سن 32 سنة أصبحت كلارا قائدة سياسية من حجم أممي و منظرة للقضايا النسائية.

كانت ألمانيا تاريخيا تخضع لنظام دكتاتوري (حكم بسمارك) و قد قام هذا الأخير بمنع الحزب الاشتراكي الديموقراطي بعدما أصدر قانونا مناهضا للاشتراكية (القانون الاستثنائي ضد الاشتراكيين وضع قيد التنفيذ من قبل حكومة بسمارك سنة 1878) ، و عندما قام أوغست بيبيل و ولهام لبنيخت (أب كارل لبنيخت القائد الاشتراكي الذي تم اغتياله على يد خونة الحزب الاشتراكي الديموقراطي إلى جانب روزا لوكسمبورغ) بتنظيم العمل السري ، قامت النساء بدور كبير ، و انخرطن بشكل واسع في الصراع الطبقي ، و خضن الإضرابات الكبرى لسنوات الثمانينات للقرن 19..هكذا و في 1889 على إثر الإضرابات العامة الكبيرة للعمال ، اضطر الحكم الرجعي الألماني إلى إلغاء القانون المناهض للاشتراكية ، و في سياق هذه الأحداث عادت كلارا من منفاها إلى ألمانيا بصحبة ابنيها.

في سنة 1892 صدر العدد الأول من مجلة "المساواة" ، أول جريدة نسائية سياسية ، و ظلت كذلك لمدة طويلة على مستوى أوربا ، و من مقرها بستوتغارت كانت كلارا هي رئيسة تحريرها ، و استمرت في تنشيطها إلى حدود 1917 ، بحيث لعبت دورا كبيرا في نشرأفكارها ، و قد جمعت المجلة بين الطابع النظري و التشهير بأوضاع النساء البروليتاريات. في مؤتمر "غوتا" سنة 1875 تبنى الحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني مشروع قرار قدمته كلارا. و في غشت 1907 سيتم انتخابها كمسؤولة للسكرتارية الأممية للنساء ، و قد قامت بعمل جبار من أجل أن يتبنى مؤتمر الأممية الاشتراكية قرارا يدعو:

"... كل الأحزاب الاشتراكية لكل البلدان واجب النضال المستميت من أجل إعطاء حق الاقتراع العام للنساء"

في سنة 1899 تزوجت كلارا بالرسام فردريك زندل الذي ظلت معه إلى حدود 1928 مع حفاظها على لقب زتكين.

و في باريس ستشارك كلارا بنشاط كبير في تأسيس الأممية الثانية سنة 1889 ، خلاله طالبت بالمساواة الشاملة في الحقوق المهنية و الاجتماعية للمرأة ، و كذا مشاركتها النشيطة في النضالات الطبقية.

كان نضال كلارا زتكين المستميت حول حقوق النساء قد جعلها تنتزع ثقة 56 مندوبة من 14 دولة المجتمعة في ستوتغارت بألمانيا ، بالتعاون مع المؤتمر الاشتراكي الأممي العام و ذلك بانتخابها رئيسة للسكرتارية الأممية للنساء الاشتراكيات في سنة 1907 و قد كان من مقررات المؤتمر:

-إنشاء مكتب نسائي أممي مهمته توثيق العلاقات بين التنظيمات العمالية النسائية في مختلف الأقطار.

-الاعتراف بصحيفة "**فلايشهايت**" (المساواة) التي كان يصدرها الحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني ، و كانت تديرها كلارا زتكين كصحيفة ناطقة باسم "المكتب النسائي الأممي".

في هذه السنة ستبلغ حركة المرأة العاملة درجة من الاتساع ، ستسمح بعقد أول مؤتمر أممي للنساء في مدينة ستوتغارت الألمانية بالتعاون مع المؤتمر الاشتراكي الأممي العام.

لأن قضية المرأة تسكنها بشكل قوي ، فقد قررت كلارا ألا تنهي حياتها بدون تتويج لهذا النضال ، و ذلك بانتزاع الاعتراف بأحقية المرأة في المساواة و التحرر ، لذلك لا يمكن الحديث عن كلارا دون الوقوف عند 8 مارس الذي أضحى اليوم العالمي للمرأة.

خلال الندوة الأممية الثانية للنساء الاشتراكيات المجتمعات في كوبنهاغن بتاريخ 8 مارس 1910 ، اقترحت كلارا خلق يوم عالمي للنساء كيوم للتظاهر للنضال من أجل الحق في الانتخاب ، المساواة بين الجنسين و الاشتراكية.

هكذا ، و ابتداءا من 8 مارس 1911 تم إحياء اليوم العالمي في أمريكا لينتشر في ما بعد في بلدان أوربا والعالم ، كما أنه في هذه السنة تظاهرت مليون امرأة في النمسا-هنغاريا ، الدانمارك ، سويسرا و ألمانيا ، ثم عرفت السنوات التالية تظاهرات أخرى في كل من فرنسا و هولندا و السويد ، و في 8 مارس 1914 طالبت النساء الألمانيات بالحق في الانتخاب (انظر(ي) مقالة روزا لوكسمبورغ :"الصراع الطبقي و حق النساء في التصويت")

و لم يصبح يوم 8 مارس تقليدا مستقرا و دائما إلا ابتداءا من سنة 1917 مع الإضراب الذي شنته النساء العاملات في روسيا بمدينة سان بترسبورغ الروسية ، و في 8 مارس 1918 اتخذ لينين العظيم قرار اعتبار 8 مارس يوما للنساء ، وفي 1924 تم الاحتفال به في الصين ثم في الجمهوريات الشعبية لأوربا الشرقية سنة 1946 قبل أن يتم ترسيمه في 8 مارس 1977 باعتباره اليوم العالمي للمرأة من طرف الأمم المتحدة.

ككل الاشتراكيين الديموقراطيين الثوريين اعتبرت كلارا الحرب العالمية الأولى حربا امبريالية ، حربا استعمارية لتقاسم الأسواق لا تهم الشعوب ، و من خلال تحاليلها و ممارستها الماركسية و حزمها في المواقف الطبقية ضد الرأسمالية و الامبريالية ، كانت كلارا تحتل موقعا متميزا داخل الجناح الثوري اليساري للحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني ، إلى جانب القائدة الثورية الشهيدة روزا لوكسمبورغ التي كانت صديقتها ، و قد واجهت كلارا بشدة الاتجاه الشوفيني داخل الحزب بقيادة نوسكه (و هو وزير داخلية الحكومة الاشتراكية الديموقراطية في جمهورية فيمارن و كان المسؤول التاريخي إلى جانب فردريتش إلبرت على اغتيال

القياديين الشيوعيين البارزان روزا لوكسمبورغ و كارل ليبنيخت).

و في المؤتمر الاشتراكي الأممي بمدينة بال بسويسرا في نونبر 1912 ، توجهت كلارا بنداء لنساء العالم للنضال ضد الحرب الامبريالية.

عرفت كلارا بمعارضتها للحرب الإمبريالية الأولى ، فقامت بفضح و التشهير بموقف الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي وافق على دخول ألمانيا الحرب ، حيث قامت في هذا الشأن بمراسلة العديد من الجرائد في البلدان المحايدة.

قامت كلارا زتكين في دجنبر 1914 بتأسيس " "عصبة السبارتاكيين" و ذلك بمعية روزا لوكسمبورغ و كارل ليبنيخت و بول ليفي و إرنست مايير و ليو جويغيش و فرانتس مهرينغ و آخرين.

و في مارس 1915 ، تسللت سرا عن طريق هولندا للدخول إلى سويسرا و بالضبط إلى مدينة بيرن ، لتترأس الندوة الأممية للنساء الاشتراكيات ، حيث تأكد معارضة النساء للحرب ، و عند عودتها إلى ألمانيا تعرضت للتهديد و تم اعتقالها لتلتحق بالسجن الذي سبق و أن التحقت به روزا لوكسمبورغ منذ سنة.

و لأن كلارا كان لها الريادة كامرأة في كثير من المحطات النضالية فكرا و ممارسة ، فقد كانت من مؤسسات الحزب الشيوعي الألماني ، فبعد مجمل الأحداث التي عرفتها ألمانيا و منها مقتل روزا لوكسمبورغ و كارل ليبنيخت و فشل الانتفاضة العمالية سنة 1918 ، و بعد القمع الذي تعرضت له حركة "عصبة السبارتاكيين" ، و بعد انتصار الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917 و نشوء الأممية الشيوعية الثالثة ، و بالضبط في سنة 1920 التحقت كلارا بإرنست تلمان و إرنست تولير و والتر أولبرايخت بالحزب الشيوعي الألماني الذي أصبحت إحدى قاداته باعتبارها عضوا في المكتب المركزي إلى حدود 1924 و عضوة اللجنة المركزية منذ 1927 إلى غاية 1929.

مكنت الثورة البرجوازية الألمانية في نونبر 1918 (جمهورية فيمار) ، الحركة النسائية من تحقيق مطلب حق النساء في الانتخاب أي ينتخبن(بفتح الياء) و ينتخبن (برفع الياء) و هو مكسب للنساء كان من نتائجه ان انتخبت كلارا كممثلة للحزب الشيوعي الألماني في انتخابات الرايشتخ سنة 1920 ،.و ظلت تنتخب تباعا خلال المدة التي استمرت فيها جمهورية فيمار.

لأن روسيا البلد الذي ستتحقق فيه أفكار و مطامح كلارا زتكين بفضل الثورة البلشفية سنة 1917 ، فقد حرصت على أن تتعرف على لينين زعيم هذه الثورة ، بعد أن كانت قد تعرفت على انجلز في المؤتمر العمالي الاشتراكي الأممي بزيوريخ سنة 1893 ، و قد تعرفت على لينين و التقته لأول مرة في مؤتمر ستوتغارت حيث كانت شهرتها قد طفقت الآفاق.

لقد كانت سلطة كلارا داخل الحركة العمالية الاشتراكية كبيرة لحد أن لينين طلب منها سنة 1920 المساعدة من أجل خلق حركة نسائية أممية قوية ، و قد دارت بين لينين و كلارا نقاشات طويلة في مكتبه بالكرملين ، حيث خالفت كلارا لينين في العديد من المواقف حول المرأة (انظر (ي) كتابها في هذا المجال).

مرة أخرى تكون كلارا زتكين في الصفوف الأولى ، فقد أصبحت قائدة من قيادات الأممية الشيوعية الثالثة في سن الستين ، حيث الإرادة ما زالت قوية و الجسم ما زال قادرا و الفكر ما زال متقدا ، أصبحت كلارا عضوة في الحزب الشيوعي الألماني و عضوة في اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة في موسكو منذ 1921 إلى غاية 1923 ، و كلفتها اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة سنة 1920 بحضور المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي الفرنسي ، و تمكنت من الحضور رغم أن كل الأجهزة القمعية قد وضعت في حالة استنفار لمنعها من دخول فرنسا ، و

لتحقيق نفس المهمة بمدينة ميلان الإيطالية تم التحايل على الأجهزة القمعية من أجل تسهيل دخولها إلى إيطاليا ، حيث قام الشيوعيون بتوجيه البوليس نحو اتجاهات مغلوطة فاستطاعت الدخول إلى إيطاليا بشعر مستعار ، و قد نجحت في المهمة التي حضرت إلى إيطاليا من أجلها (حضور المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي الإيطالي).

ومن المهام الكثيرة التي اضطلعت بها كلارا ، قيادتها للسكرتارية النسائية للأممية الثالثة ، و قامت بتسيير دورية "الأممية الشيوعية النسائية" ، و تجدر الإشارة إلى أن كلارا كانت من المقربات للروسية البلشفية ألكسندرا كولونتاي في الأممية الثالثة.

إن مسيرة كلارا النضالية طويلة لا تتوقف ، فلم تترك مجالا من المجالات التي يمكن أن تساهم فيه بفكرها و نضاليتها إلا ولجته ، ففي دجنبر من سنة 1929 ، و بالضبط من داخل "جمعية البلاشفة القدامى" (جمعية روسية للمساعدة و التضامن الدولي مع مقاتلي الثورة) ، تم إطلاق فكرة تأسيس " الإسعاف الأحمر الدولي" ، حيث تبنت الأممية الثالثة هذا النداء ، فتأسست على إثر ذلك مجموعة من الفروع الوطنية ، وقد اجتمعت الجمعيات الوطنية و انتخبت لجنة تنفيذية من بين أعضائها و مسؤوليها كلارا زتكين التي أصبحت رئيسة لها بعد وفاة رئيسها الأول جوليان مارشيوسكي ابتداءا من 1925.

كما كانت كلارا ضد الحرب الإمبريالية الأولى ، باعتبارها حربا امبريالية ، فقد كانت أيضا ضد الفاشية التي استفاضت في تحليل طبيعتها و نتائجها و خطورتها ، وكانت كلارا من الأوائل الذين قدموا تحليلا واضحا لطبيعة الفاشية و لقواعدها الجماهيرية انطلاقا من تجربة إيطاليا و من علاماتها الأولى في ألمانيا ، و ذلك عشر سنوات قبل ديميتروف (قائد شيوعي بلغاري و عضو بارز في المكتب التنفيذي للأممية الثالثة) و بذلك كانت من الأوائل الذين دافعوا عن استراتيجية و تكتيك " الجبهة الوحيدة "داخل الأممية الشيوعية من أجل مواجهة الزحف الفاشي و النازي.

كل المحطات التي مرت منها كلارا عبر مسيرتها الطويلة في النضال فكرا و ممارسة لا يمكن إلا أن تثير الإعجاب و التقدير اتجاه هذه المرأة الشامخة ، لكن وقوفها ذات يوم على منصة البرلمان الألماني خطيبة مفوهة و هي بصحة في غاية الاعتلال يجعلك تقول : أي امرأة أنت يا كلارا ؟

فبعد تعرضها لعملية نزع " الجلالة" و برجلين متجمدتين مصابتين بالغنغرينا إضافة إلى داء السل القديم الذي عاودها مرة أخرى و قد نخر رئتيها ، امرأة منهكة صحيا لكن العقل ما زال صاحيا و متقدا ، و جذوة الذكاء ما زالت مشتعلة ، و باعتبارها عميدة البرلمان الألماني ، ستلقي خلال غشت 1932 خطاب الافتتاح ، خاصة وأن الزحف النازي يتقدم و لابد أن تقول كلمتها ، كلمة الشيوعيين و موقفهم من النازية.

ففي سياق شروط تاريخية ، استطاع النازيون بقيادة هتلر من تحقيق الفوز في الانتخابات بنسبة 38% ، و حين كانت الجلسة الأولى للبرلمان الجديد تنعقد يوم 30 غشت 1932 ، و حيث كان البرلمانيون النازيون بألبستهم العسكرية و أيديهم الممدودة (علامة تحية نازية) يحيون غورينغ (أحد أعمدة النظام النازي ، حكم عليه بالإعدام بعد الحرب العالمية الثانية) الذي سيتم انتخابه رئيسا للرايخشتخ , قامت امرأة في عمر يناهز 75 سنة ، عمياء تقريبا تصعد ببطئ إلى المنصة بمساعدة شخصين ، و بصوت بدأ منخفضا ، ثم ما لبث أن ارتفع ، ألقت نداءا طويلا لمحاربة الهتليرية ، حيث قالت:

"إن ما يجب فعله و قبل كل شيء هو القضاء على الفاشية، التي تريد تصفية التظاهرات الطبقية للعمال بالدم و الحديد، إن ضرورة الساعة هي " الجبهة الوحيدة" لكل العمال من أجل صد الفاشية".

هذه المرأة الصلبة الشجاعة ، الجريئة و الناذرة كان اسمها ببساطة كلارا زتكين ، و سيذكر لها التاريخ كل هذه المواقف الشجاعة و الجريئة رغم انتشار التحريفية و ربيبتها الحركات و الأنظمة المعادية للشيوعية ، و إن التاريخ لا يكون أمامه سوى الانحناء لهذه المرأة ، كما أن مهمة كل شيوعي حقيقي إنصاف هذه المناضلة الشيوعية الفذة.

بعد اضطرارها إلى الفرار من ألمانيا بعد وصول النازيين إلى الحكم ، و بعد منع الحزب الشيوعي الألماني ، وصلت كلارا إلى موسكو منهوكة القوى ، و بعد أسابيع من ذلك ، و بالضبط في يوم 20 يونيو 1933 عن سن تناهز 75 سنة ، و في مكان قرب موسكو فقدت الحركة الشيوعية العالمية و الحركة النسائية البروليتارية الاشتراكية أحد أبرز قادتها التاريخيين : كلارا زتكين ، و قد دفنت بجوار حائط الكرملين في الساحة الحمراء.

لقد حاولنا من خلال هذه الأسطر تكريم هذه المناضلة الفذة و الناذرة التي كانت وراء مبادرة جعل 8 مارس يوما عالميا للمرأة ، و ذلك إحياءا للذاكرة الشيوعية الثورية التي يحاول التحريفيون القدامى و الجدد و أعداء الفكر الاشتراكي و الشيوعي طمسها و محاولة تمييع الاحتفال بهذا اليوم ، الذي هو أصلا يوم النضال من أجل تحرر المرأة و من أجل الاشتراكية.

ضدا على هذا التمييع و التزييف للتاريخ ، على المناضلين و المناضلات الماركسيات اللينينيات أن يعدن له أفقه التحرري الثوري ، بداية بالتعريف بالمعلمات الاشتراكيات البروليتاريات من أمثال كلارا زتكين ، ألكسندرا كولونتاي ، روزا لوكسمبورغ و سعيدة لمنبهي ، و غيرهن من المناضلات الشيوعيات الثوريات.

علي محمود
مارس 2014.

ألكسندرا كولونتاي
رائدة النضال الثوري النسائي

تعد المناضلة البلشفية ألكسندرا كولونتاي من أبرز نساء الحركة الشيوعية العالمية. قال عنها مكسيم غوركي (الروائي الروسي الشهيرصاحب رواية " الأم"و الصديق الحميم للرفيق لينين) نقلا عن مارتوف : "يوجد في روسيا شيوعيان اثنان فقط: لينين و مدام كولونتاي". تعبير مجازي و لا شك ، و لكنه اعتراف من أحد أشد خصوم البلشفية و اللينينية (مارتوف هو زعيم المناشفة).

كرست كولونتاي كل حياتها للنضال الثوري ككاتبة و مناضلة شيوعية لا يشق لها غبار ، من أجل تحرر المرأة بصفة عامة و تحرر النساء العاملات بصفة خاصة ، و قد لخصت كولونتاي بنفسها فهمها لقضية تحرر المرأة التي نذرت حياتها لها بهذه العبارات المقتطفة من مذكراتها التي كتبتها سنة 1929:

" إذا كنت قد حققت شيئا في هذا العالم، فليس مرد ذلك إلى صفاتي الشخصية، فإنجازاتي ليست إلا الدليل على أن المرأة باتت تسير باتجاه كسب الاعتراف العام بها، على الرغم من كافة الصعاب، فانخراط ملايين النساء في العمل الإنتاجي الذي تم بوتيرة متسارعة خلال الحرب (الحرب الامبريالية الأولى) قد أفسح المجال أمام المرأة لكي تحتل أعلى المراكز السياسية و الدبلوماسية... وحدها العواصف الثورية الجديدة امتلكت القوة الكافية لتكنيس كافة العقد و الترسبات ضدالنساء ، و وحده الشعب الكادح المنتج القادر على تحقيق المساواة الكاملة و التحرر الناجز للمرأة ببنائه المجتمع الجديد".

إن كل المحطات النضالية لكولونتاي كانت تجسيدا حيا لما جاء في هذه العبارات المقتطفة ، فمن تكن ألكسندرا كولونتاي ؟

ولدت المناضلة البلشفية الروسية ألكسندرا كولونتاي سنة 1872 ، نشأت في أسرة من النبلاء من ملاكي الأراضي ، كانت محط عناية من طرف أسرتها المحافظة المرعية للتقاليد البطريركية ، هي البنت الوحيدة لأبيها (الزواج الثاني لأمها).

لم يسمح لها والداها بالانتقال للدراسة بالمدرسة الثانوية لأن أسرتها كانت تخاف عليها من الاحتكاك بزملائها في الدراسة ، لذلك كانت تأخذ دروسا خصوصية.

حصلت على البكالوريا في سن صغيرة (16 سنة) ، و قد تزوجت صغيرة السن تمردا على أهلها و تحديا لهما ، لكن بعد ثلاث سنوات من الزواج انفصلت عن زوجها المهندس ف. كولونتاي بالرغم من حبها له و حملت معها ولدهما الصغير ، و عنه أخذت اسمها الدائم كولونتاي متخلية بصفة نهائية عن اسم أسرتها "دومونتفتش".

منذ هذا التاريخ بدأت تتحدد الميولات السياسية لكولونتاي ، و بالضبط في سنة 1896 و هي لم تتجاوز بعد 24 سنة و التي كانت فاصلة في حياتها ، فقد أمضت ربيع هذه السنة في معمل النسيج في مدينة نارفا ، و هناك شاهدت على أرض الواقع كيف يجري استغلال 12 ألف من العمال على أبشع صورة ، و كانت ميولها آنذاك شعبوية و "إرهابية" أكثر منها ماركسية ، لكن بعد الشهور القليلة التي أمضتها في معمل النسيج عكفت على دراسة الاقتصاد و الماركسية — لقد أصبحت ثورية في ظل الممارسة-

جاء إضراب عمال النسيج في بتروغراد سنة 1896 الذي شارك فيه 36 ألف عامل و عاملة ليبلور قناعتها السياسية و الإديولوجية بصورة نهائية ، فانتقلت إلى معسكر الماركسية ، و كتبت أول مقال لها سنة 1898 عن فلسفة التربية لدى الديموقراطي الثوري الروسي دوبرو ليوبوف ، و في غشت من العام نفسه ذهبت إلى الخارج لدراسة العلوم الاقتصادية و الاجتماعية و انتسبت إلى جامعة زيوريخ ، و هناك اطلعت لأول مرة على كتابات كارل كاوتسكي و روزا لوكسمبورغ لتصبح ماركسية ، و في نفس السنة توجهت نحو انجلترا لدراسة الحركة العمالية الانجليزية عن كثب و اتصلت بزعيمي الحركة الاشتراكية الفابية هناك ، لكن سرعان ما خاب أملها و أدركت ، على حد تعبيرها " إننا نتكلم لغة مختلفة" ، و ترسخت لها القناعة بأن الإصلاحات الاجتماعية على الطريقة الترورديونية تعجز عن حل التناقضات الاجتماعية المتفجرة.

بعد عودتها من انجلترا التحقت مباشرة ببلدها روسيا لتتصل بالأوساط العمالية الثورية السرية ، و اقتنعت بضرورة أن توجه في أسرع وقت ممكن كل قواها نحو المهمة الحقيقية ألا و هي النضال الثوري.

في خريف 1899 لم تعد روسيا كما تركتها كولونتاي فهناك تغيير قد حصل ، فشهر العسل بين "الماركسية الشرعية" و الاشتراكيين الديموقراطيين الثوريين الذين كانوا يعملون في السرية قد وصل إلى نهايته.

في سنة 1901 توجهت نحو الخارج ، و ارتبطت شخصيا بكل من كاوتسكي و روزا لوكسمبورغ و بول لافارغ و بليخانوف. و في سنة 1903 صدر كتابها الأول "حياة العمال الفلنديين" و هو تحقيق اقتصادي حول وضعية العمال الفلنديين (كانت على صلة حميمية بمنظماتهم لأنها كانت ترى في البروليتاريا طليعة متقدمة و واعية للطبقة العاملة الصناعية) و حول التطور الاقتصادي لفلندا ، و قد كتب بفكر ماركسي ، واستقبله المناضلون في السرية بحفاوة كبيرة ، لكن العديد من "الماركسيين الشرعيين" أعلنوا عن امتعاضهم منه ، علما أن جلهم تحول إلى الدفاع عن الاقتصادوية في النضال الاجتماعي و اللبرالية السياسية التي كانت تعني ترك العمل السياسي في يد البورجوازية.

حين سافرت كولونتاي إلى الخارج وجدت أن السجال محتدم هذه المرة ليس بين الشعبويين و الماركسيين ، و إنما بين المناشفة و البلاشفة ، و قد كان لها أصدقاء في المعسكرين ، وشعرت أنها أكثر تعاطفا مع البلاشفة بالنظر إلى صلابتهم الثورية ، لكن نفوذ شخصية بليخانوف عليها منعها من مقاطعة المناشفة ، فنشطت مع كلا جناحي الماركسية الروسية و شاركت

بمقالاتها في دعايتهما الثورية.

كانت سنة 1905 مميزة عند كولونتاي فقد تصلبت ثوريتها ، إذ فاجأها اليوم الأحمر الدامي لهذه السنة و هي في الشارع على رأس تظاهرة كانت تتقدم باتجاه قصر الشتاء ، و حين لعلع رصاص الكوزاك صوب صدور المتظاهرين من العمال و العاملات و سقط الكثير منهم برصاص الغدر ، انحفر في ذاكرتها إلى الأبد ، مشهد برك الدم على الثلج الأبيض و سياط الخيالة و جثث القتلى و الجرحى و الأطفال الصرعى . و بعد ذلك الأحد الدامي و حينما انكفأت الحركة الثورية في روسيا على نفسها و أعاد البلاشفة تنظيم صفوفهم على أسس أمتن و أكثر سرية ، كانت كولونتاي من أوائل الثوريات الاشتراكيات الديموقراطيات الروسيات اللائي أرسين أسس تنظيم ثوري للنساء العاملات. و قد طالبت منذ 1906 بألا يكون تنظيم العاملات مستقلا عن الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي ، و بأن يكون في المقابل في قيادة الحزب مكتب متخصص في شؤون الحركة النسائية.

انضمت كولونتاي رسميا إلى الجناح المنشفي سنة 1906 لخلافها مع البلاشفة حول مسألة مشاركة نواب العمال في دوما الدولة ، و في سنة 1908 اضطرت إلى مغادرة بلادها لأنها كانت مطلوبة في محاكمتين ، الأولى لقيامها بتنظيم عاملات النسيج ، و الثانية لدعوتها للثورة في كراسة اصدرتها باسم " فلندا الاشتراكية" و عاشت خارج روسيا من سنة 1908 إلى سنة 1917 ، و في هذه الفترة أصدرت كتابيها المشهورين " الأسس الاجتماعية للمسألة النسائية"و "المجتمع و الأمومة".

في الخارج انتمت كولونتاي للحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني و الحزب الاشتراكي البلجيكي ، و ناضلت بقلمها و نشاطها في كل من ألمانيا و فرنسا و انجلترا و سويسرا و بلجيكا و إيطاليا و الدنمارك و النرويج و حتى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد اعتقلت في ألمانيا أثناء الحرب الامبريالية الأولى ، وطردت إلى السويد حيث اعتقلت من جديد بتهمة معارضة النزعة العسكرية لموقفها المناهض للحرب الامبريالية الأولى. و في سنة 1915 انفصلت عن المناشفة لتنظم للبلاشفة ، و قد اعتقلت مع عدد من البلاشفة في أيام حكومة كرنسكي البرجوازية (الحكومة التي قامت على إثر ثورة فبراير 1917) ، و قد كان العداء التام لكولونتاي نظرا لمواقفها و تحركاتها ضد الحرب و استمرار مشاركة روسيا في الحرب الامبريالية الأولى التي اعتبرت حكومة كرنسكي مسألة الاستمرار فيها أمرا مقدسا ، و قد كيلت لها كل اللعنات و الكراهية التامة لمواقفها تلك ، تقول كولونتاي في هذا الصدد:

"كان علي أن أقفز من التروموای بسرعة عند النزول و هو ما زال لم يتوقف بعد قبل أن يتعرف الناس علي، لقد أصبحت موضوع الساعة، و كنت هدفا لكل أنواع السب و الأكاذيب".

حين قامت ثورة أكتوبر كانت كولونتاي عضوا في اللجنة المركزية للحزب البلشفي ، و بعد نجاح الثورة كان لابد و أن تتولى كولونتاي منصبا في النظام الاشتراكي الجديد ، فأصبحت مفوضية الشعب لشؤون المساعفة الاجتماعية (بمثابة وزارة) و سهرت على إنشاء المكتب المركزي لرعاية الأمومة و الطفولة و دور الحضانة النهارية لإيواء أطفال النساء العاملات ، و توفير وسائل منع الحمل لمن ترغبن في ذلك من النساء.

تعرضت كولونتاي في المهام التي أسندت إليها لكل أنواع المضايقات لمشاريعها الاجتماعية تلك لصالح النساء و الأطفال و الأرامل و المعطوبين ، و خاصة من طرف رجال الدين عندما حاولت تحويل أحد الأديرة إلى

دار لمعطوبي الحرب ، و بلغ الأمر بالكنيسة الأرتدوكسية المعروفة بمواقفها المعادية للثورة ، إلى قيادة مظاهرة في الشارع و أعلنت "اللعنة" عليها.

لقد كانت مسؤولية ألكسندرا كولونتاي كمفوضة مسؤولة عن القضايا الاجتماعية ذات أهمية كبيرة و خطيرة في نفس الوقت ، ففي ظل مجتمع ما زالت أغلبيته من الفلاحين و حيث الأفكار الرجعية و المحافظة للكنيسة متغلغلة في أوساطهم ، لم تكن تلك المهام التي تحملتها و لا طريقها مفروشة بالورود ، فقد واجهت بأفكارها البلشفية الثورية تدني مستوى الوعي السياسي و الاجتماعي و الثقافي لدى فئات واسعة من المجتمع الروسي.

و رغم الرفض والعداء الذي كان منتصبا أمام كولونتاي في كل المشاريع الاجتماعية التي تقوم بها ، و خاصة تلك التي تمس المرأة ، فالمواضيع و الأطروحات التي قدمتها أو فتح النقاش حولها ، حول قوانين الزواج و الحق في الإجهاض و الطلاق و نظرة جديدة للجنس كانت محط نفوركبير ، أما أطروحاتها حول الجنس فكانت تجابه بالرفض الشرس ، لكن عنادها البلشفي كامرأة تصلبت في خضم النضالات الثورية و دعم لينين من خلال القرارات التي كان يتخذها ، جعلها تتخطى الصعوبات و التحديات و تساهم في تحقيق العديد من المكتسبات للمرأة السوفياتية.

لا يمكن تعداد المهام و المحطات النضالية التي كانت كولونتاي طرفا أساسيا فيها قبل الثورة و بعدها ، و في كل هذه المراحل كان الهدف الرئيسي و الركن الأساسي في حياتها النضالية ، هو تحرر المرأة. ففي المؤتمر الثامن للسوفياتات باعتبارها عضوا في اللجنة التنفيذية للسوفيات اقترحت المذكرة التالية:

" في كل مكان على السوفيات المساهمة في اعتبار النساء على قدم المساواة مع الرجال و يجب أن يعملن في دواليب الدولة و البلديات".

بعد هذه المسيرة ذات الزخم النضالي الكبير-الذي كان فيه صعود و هبوط- نظرا للأفكار و المشاريع التي كان يضطرم بها دماغ هذه المرأة (يبقى على كاهل الماركسيين اللينينيين الثوريين أن يقيموا هذه التجربة ليتعلموا من أفكارها و دروسها) ، انسحبت كولونتاي من الحياة السياسية نهائيا و انصرفت إلى العمل الدبلوماسي حيث أقامت في السويد كسفيرة لبلادها في فترة ما بين 1930 و 1945.. و عقب الحرب الامبريالية الثانية رجعت كولونتاي إلى موسكو التي ظلت فيها إلى أن وافتها المنية و ذلك في 9 مارس 1952 عن عمر يناهز الثمانين سنة.

كانت كولونتاي مثال الثوريات اللواتي لا يفصلن بين أفكارهن و ممارساتهن في انسجام تام مع النفس ، بين ما يؤمن به و ما يمارسنه ، فعلاوة على أن كولونتاي امرأة و مناضلة ثورية فلم تكن حياتها الخاصة مستقلة عن أفكارها السياسية ، لقد كانت امرأة متحررة أيما تحرر و هي التي ترعرعت وسط عائلة أرستقراطية محافظة تجسدت فيها كل مظاهرالبطرياركا ، الشيء الذي زرع فيها البذورالأولى للتمرد و الثورة.

لقد حاولت كولونتاي أن تعيش كما تفكر و حسب تصورها عن "المرأة الجديدة" ، المرأة المنعتقة التي جمعت كثيرا من الخصال قل أن تجتمع في امرأة ، فهي المرأة الجميلة ، المثقفة و الأنيقة ، الخطيبة المفوهة التي تتقن عدة لغات ، إلى جانب المرأة الثورية و المدافعة الشرسة عن تحرر المرأة . امرأة من هذا الطراز و من هذه الطينة من النساء ، منذورة لتحارب الأحكام الجاهزة و الآراء المسبقة على امتداد حياتها و التي كانت ما تزال

راسخة في أوساط المناضلين الثوريين ، بما فيهم الأوساط الحزبية القيادية.

كانت كولونتاي امرأة أنيقة و محبة للأناقة فعندها أن تكون المرأة ثورية لا يعني أن تضع أنوثتها جانبا ، فتلك صفة الشعبويين و البرجوازيين الصغار لا صفة الشيوعيين ، فحتى و هي تعاني الفقر و البؤس في مرحلة من حياتها و لا تملك أثناءها سوى ثوب واحد فمع ذلك كانت أنيقة.

إن الأحكام المسبقة التي كانت منتشرة حتى داخل الحزب الشيوعي البلشفي ، اضطرت كولونتاي إلى أن تمارس نوعا من الرقابة الذاتية على أفكارها المتعلقة بتحرر المرأة كما تقول ، فكانت مقالاتها و كراساتها و كتبها لا تصدر إلا بعد أن يمر عليها مقصها هي نفسها.

من السطور التي كتبتها سنة 1926 و لم تشأ أن ترى النور ، المقطع المحذوف التالي :

" حين يصارحني أحدهم بين الحين و الآخربالقول بأنه في غاية العجب من تعيين امرأة في مثل هذا المنصب المسؤول (يعني السفارة) أقول بيني و بين نفسي ، أن النصر الرئيسي لقضية المرأة، لا يكمن في خاتمة المطاف في هذه الواقعة وحدها، بل إن الشيء الذي له دلالته في هذه الحالة، هو أن تكون امرأة مثلي قد سوت حساباتها مع معيار الأخلاق المزدوج و قد جاهرت برأيها هذا أمام الملأ، فقد قبلت رغم ذلك في عداد الطبقة المتميزة المغلقة، المدعومة إلى يومنا هذا بالتقاليد و الأخلاق الكاذبة، و عليه فإن حياتي يمكن أن تتخذ مثالا لطرح الشبح القديم، شبح الأخلاق المزدوجة من حياة سائر النساء أيضا، و هذه النقطة الحساسة من وجودي هي التي تتمتع ببعض الأهمية الاجتماعية و السيكولوجية، و هي التي يمكن أن تساهم في معركة تحرر النساء العاملات".

لا يمكن المرور على حياة كولونتاي دون الوقوف عند مسارها ككاتبة ، و لم يقتصر نشاطها الفكري على الدراسات و المقالات و الكراسات ، بل شمل الأدب و أدب القصة تحديدا ، و قد ظهرت ميولاتها الأدبية منذ أن كانت تلميذة اكتشفها أحد أساتذتها في تاريخ الأدب ، و هو من دفعها نحو الصحافة.

لقد كان هدف إبداعها الأدبي تمثيل ذلك الطراز من المرأة ، التي كانت تنتظر أن يرى النور مع المجتمع الاشتراكي ، و قد قوبلت أول مجموعة قصصية تنشرها سنة 1923 بردود فعل بالغة العنف ، و وصفها بعضهم بأنها " فسوق بورجوازي صغير" ، و حين صدرت ترجمة ألمانية للمجموعة سنة 1926 ، لم يقابلها الحزب الشيوعي الألماني بحماسة ، و نشرت صحيفته الرسمية "دي أنترناشيونال" تعليقا عليها جاء فيه ، أنه ليس من المستحسن أن تكون أفكار المرأة الماركسية متقدمة جدا ، بحيث تنقطع صلتها بأفكار الرجال المعاصرين لها.

لئن تكن أضواء كافية قد سلطت على نضال كولونتاي في سبيل التحرر السياسي و الاقتصادي للمرأة ، فإن التعتيم ظل مضروبا على أفكارها بصدد الأخلاق الجنسية الجديدة ، و لعل كتابها الذي صدر سنة 1918 تحت عنوان "الأخلاق الجديدة و الطبقة العاملة" يكاد يكون أهم ما كتبته كولونتاي على الإطلاق في موضوع تحرر المرأة الجنسي ، و تقول أن المرأة العاملة مدعوة لأن تتحرر كعاملة و كامرأة أيضا ، لأن الاضطهاد واقع عليها كعاملة و كامرأة معا.

ألفت كولونتاي عدة كتب و كان أغلبها قبل نشاطها الدبلوماسي ، منها كتبها حول النظرية الاجتماعية و الاقتصادية:

- "وضعية الطبقة العاملة في فلندا" سنة 1903
- "اليومية العمالية الأولى" 1906
- "فلندا الاشتراكية" 1907
- "الحرب أساسية لمن ؟" (صدر منها ملايين النسخ)
- "وضعية النساء في ظل تطور الاقتصاد السياسي"
- "صراع الطبقات" 1900
- "الأسس الاجتماعية للمسألة النسائية" 1908
- "المجتمع و الأمومة"(600 صفحة)
- "الأخلاق الجديدة و الطبقة العاملة"

من أشهر كتبها أيضا " المرأة الجديدة" ، و كتاب " الماركسية و الثورة الجنسية" الذي أصدرته دار ماسبيرو....
بالإضافة إلى عدة مقالات و نصوص حول المشاكل الجنسية ، و أدب الدعاية ضد الحرب و تحرر النساء العاملات ، و لها ثلاثة قصص: "طرق الحب" و هو أول محاولاتها الأدبية و "الحب المجنح" و هو مقال سوسيولوجي .

جميلة صابر
9 مارس 2014

حول أساليب العمل وسط النساء

تقرير كولونتاي أمام المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية

(موسكو 22 حزيران- 12 تموز 1921)

1- موضوعات للدعاية بين النساء

أ - مبادئ عامة:

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية ، بالاشتراك مع المجلس العالمي للنساء الشيوعيات ، يقر رأي المؤتمرين الأول والثاني ، المتعلق بضرورة قيام الأحزاب الشيوعية في الغرب والشرق ، بتعزيز العمل بين البروليتاريا النسائية ، وبخاصة التربية الشيوعية للجماهير الواسعة من العاملات ، اللواتي ينبغي جرّهن إلى النضال من أجل سلطة السوفياتات ومن أجل تنظيم الجمهورية العمالية السوفياتية.

لقد أصبحت ديكتاتورية الطبقة العاملة ، بالنسبة للبروليتاريا في العالم أجمع ، وبالتالي بالنسبة للعاملات ، مسألة رئيسية.

يسير الاقتصاد الرأسمالي في طريق مسدود. فالقوة المنتجة لم تعد قادرة على التطور في إطار النظام الرأسمالي. وعجز البورجوازية عن إعادة الحياة إلى الصناعة ، وبؤس الجماهير الكادحة المتعاظم وتفشي المضاربات وتفسخ الإنتاج ، كل هذا يؤدي إلى انتعاش الصراع الطبقي في جميع البلدان. وفي هذا الصراع تبرز مسألة معرفة من يدير عملية الإنتاج: أحفنة من البورجوازيين والمستثمرين وعلى أسس الرأسمالية والملكية الخاصة ، أم طبقة المنتجين الحقيقيين وعلى أسس الشيوعية ؟

يجب على الطبقة الجديدة الصاعدة ، طبقة المنتجين الحقيقيين ، وفقا لقوانين التطور الاقتصادي ، أن تستولي على وسائل الإنتاج وأن تخلق الأشكال الاقتصادية الجديدة ، فبهذا فقط تستطيع القوى المنتجة أن تعطي الحد الأقصى من مردوده ، بينما تمنع فوضى الإنتاج الرأسمالي هذه القوى حتى من إعطاء المردود المؤهلة له أساسا. وطالما أن السلطة هي في حوزة البورجوازية ، تبقى البروليتاريا عاجزة عن تقويم الإنتاج. ولا يمكن لأي إصلاح أو تسوية تقوم بها الحكومة الديمقراطية أو الاشتراكية في البلدان البورجوازية أن تنقذ الوضع وأن تخفف من آلام الشغيلة ، لأن هذه الآلام هي

نتيجة طبيعية لانهيار النظام الرأسمالي ، وهذه الآلام ستبقى ما بقيت السلطة في أيدي البورجوازية ، واستيلاء البروليتاريا على السلطة وحده سيمكن الطبقة العاملة من السيطرة على وسائل الإنتاج ، ومن ضمان إمكانية توجيه الاقتصاد وفقا لمصلحتها الخاصة.

لكي تقرب البروليتاريا ساعة اللقاء الحاسم مع العالم البورجوازي المحتضر ، عليها أن تلتزم بحزم بالتكتيك الصارم الذي أوصت به الأممية الثالثة. إن الأمر الأساسي الذي ينبغي أن يكون في صميم جدول أعمال الشيوعيين هو تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، فهذا الأمر هو الهدف الذي على أساسه تتحدد طرق عمل الشيوعيين من الجنسين وخط سلوكهم.

وانطلاقا من أن النضال من أجل ديكتاتورية البروليتاريا هو في صميم جدول أعمال الشيوعيين في جميع الدول الرأسمالية ، ومن أن بناء الشيوعية هو المهمة الراهنة في البلدان التي وصلت فيها البروليتاريا إلى السلطة ، يؤكد مؤتمر الأممية الثالثة على أن استلام السلطة من قبل البروليتاريا ، ثم تحقيق الشيوعية ، لا يمكن أن يتم دون الدعم النشيط والفعال الذي تقدمه الجماهير النسائية البروليتارية وشبه البروليتارية.

من جهة أخرى يلفت المؤتمر انتباه النساء إلى أن المحاولات الرامية إلى تحرير المرأة ومساواتها الكاملة بالرجل لا يمكنها أن تصادف النجاح دون أن تحظى بدعم الأحزاب الشيوعية.

- ب -:

إن مصلحة الطبقة العاملة تفرض انضمام النساء إلى صفوف البروليتاريا المنظمة والمكافحة في سبيل الشيوعية ، وهي تفرض هذا الأمر بقدر ما تصبح أزمة الاقتصاد الرأسمالي أكثر حدة وأقل قابلية للتصحيح في نظر التجمعات الفقيرة في المدينة والريف. وبقدر ما تطرح الثورة الاجتماعية كأمر لا مناص منه أمام الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، تطرح أمام الشعب الكادح في روسيا السوفياتية ، مهمة إعادة بناء الاقتصاد الوطني على أسس جديدة ، أي على أسس الشيوعية. ويصبح تحقيق هاتين المهمتين أكثر سهولة عندما تأخذ المرأة فيهما دورا أكثر فاعلية ووعيا وإرادة.

- ج -:

عندما تطرح مسألة الاستيلاء على السلطة بشكل مباشر ، على الأحزاب الشيوعية أن تعرف كيف تميز بوضوح الخطر الكبير الذي تمثله في الثورة جماهير المستخدمين والعمال الخاملين والفلاحين الرازحين تحت تأثير الكنيسة والمفاهيم البرجوازية ، والذي لا توجد أية روابط بعد بينهم وبين الشيوعيين. إن الجماهير النسائية في الشرق والغرب والموجودة بمنأى عن حركة الشيوعيين تشكل بالتأكيد مرتكزا للبرجوازية وحيزا لها تبث فيه دعايتها المعادية للثورة. إن تجربة الثورة المجرية حيث لعب تخلف وعي الجماهير النسائية دورا محزنا للغاية ، يجب أن تظل ماثلة أمام بروليتاريا جميع البلدان المتخلفة والواقفة على أبواب الثورة الاجتماعية.

إن التجربة العملية التي خاضتها الجمهورية السوفياتية قد أظهرت الأهمية الكبرى لمشاركة العاملة والفلاحة في الدفاع عن الجمهورية أثناء الحرب الأهلية أكثر مما أظهرتها في مجالات الإدارة السوفياتية. ونفهم أهمية الدور الذي لعبته جماهير العاملات والفلاحات في بناء الجمهورية السوفييتية عندما نطلع على نشاطهن في مجالات تنظيم الدفاع ، وفي تدعيم مؤخرة الجيش وفي النضال ضد القحط وفي أعمال التخريب والنسف وغير ذلك...

إن تجربة الجمهورية السوفياتية يجب أن تستوعب وأن يستفاد منها في البلدان الأخرى. إن المهمة الراهنة الملقاة على عاتق الأحزاب الشيوعية تستخلص في الأمور الآتية: إيصال تأثير الحزب الشيوعي إلى أوسع التجمعات النسائية وذلك بواسطة لجان خاصة يشكلها الحزب

وبواسطة الأساليب الخاصة التي تمكن من مخالطة النساء وإخراجهن من المجالات التي تتأثر بنشاط الأحزاب المؤتلفة مع البورجوازية وذلك لجعلهن مناضلات حقيقيات من أجل تحرير المرأة الكامل.

- د -:

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية عندما يضع على عاتق الأحزاب الشيوعية في الشرق والغرب مهمة تعزيز نشاط الحزب في صفوف البروليتاريا النسائية يظهر في الوقت نفسه لعمال العالم أجمع أن تحريرهم من الظلم المزمن ومن العبودية واللامساواة لا يمكن أن يتحقق إلا بانتصار الشيوعية. إن ما تقدمه الأحزاب الشيوعية للمرأة في مطلق حالة من الحالات ، تعجز عن تقديمه الحركة النسائية البرجوازية ، وتنتفي تماما كل إمكانية لتحرير المرأة طالما بقيت سيطرة رأس المال والملكية الخاصة قائمة.

إن القانون الانتخابي الذي يعطي للمرأة حقها بالتصويت ، لا يلغي عبوديتها في المجتمع والأسرة ، كما أنه لا يقدم حلا لمشكلة العلاقات القائمة بين الجنسين. إن المساواة الحقيقية وليست الشكلية بين المرأة والرجل لا تقوم إلا في إطار نظام تكون فيه المرأة العاملة سيدة وسائل الإنتاج والتوزيع ومساهمة في إدارة هذه الوسائل تعمل في نفس الظروف التي يعمل فيها سائر أعضاء المجتمع العامل. بكلام آخر لا يمكن للمساواة أن تتحقق إلا بقلب النظام الرأسمالي وإحلال الأشكال الشيوعية محل الأشكال الرأسمالية.

إن الشيوعية وحدها هي التي ستخلق ظروفا لا تكون فيها الأمومة الوظيفة الطبيعية للمرأة في حالة تناقض مع ما تفرضه تعقيدات المجتمع ، وفي ظروف الشيوعية سوف لن يكون هناك ما يحول دون مساهمة المرأة في العمل المنتج لصالح الجماعة ، ولكن الشيوعية هي الهدف النهائي للبروليتاريا ، وبالتالي فإن نضال العامل والعاملة من أجل هذا الهدف المشترك ، ينبغي له أن يستمر مشترك ، وأن لا يحدث فيه أي انفصام وذلك لمصلحة الطرفين.

- هـ -:

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية يؤكد صحة المبادئ الأساسية للماركسية الثورية والتي لا توجد بموجبها مشاكل «نسائية خاصة» ويعتبر أن كل صلة تقيمها المرأة العاملة مع النزعة النسوية البرجوازية وكل اعتماد من قبلها على المساومة الصريحة الخيانة ، التي يمارسها الاشتراكيون-الائتلافيون والانتهازيون تضعف من قوة البروليتاريا وتؤخر الثورة الاجتماعية وتمنع في الوقت ذاته تحقيق الشيوعية وبالتالي تحول دون تحرير المرأة.

إن بلوغ المجتمع الشيوعي لا يتسم إلا باتحاد كل المستثمرين ، وليس باتحاد القوى النسائية في الطبقتين المتناحرتين. إن جماهير البروليتاريا النسائية عليها أن تستوعب التكتيك الثوري للحزب الشيوعي ، وأن تأخذ القسط الأكثر فعالية والأكثر تأثيرا على نشاط الجماهير في الحرب الأهلية بجميع أشكالها ومظاهرها.

- و -:

إن نضال المرأة للتخلص من الاضطهاد المزدوج ، اضطهاد الرأسمالية والخضوع المطلق للأسرة وللخدمات المنزلية ، ينبغي له أن يأخذ في المرحلة القادمة من مراحل تطوره صفة عالمية ، وذلك بتحوله على نضال تشنه البروليتاريا من الجنسين بهدف تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي وتحت لواء الأممية الثالثة.

- ز -:

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية ، عندما يحض عاملات العالم ضد كل شكل من أشكال التعاون والتحالف مع النسوية البرجوازية يعلمهن سلفا أن كل اعتماد من قبلهن على الأممية الثانية أو على العناصر الانتهازية القريبة منها لا بد إلا وأن يجر أفدح الأخطاء على حركتهن. وعلى النساء أن يتذكرن أن جميع بذور

عبوديتهن ممتدة في جسم النظام البرجوازي ، ولكي يتخلص من هذه العبودية ينبغي الوصول إلى نظام اجتماعي جديد.

إن التمسك بالأمميتين الثانية والثانية والنصف وبالجماعات المماثلة لها يؤدي إلى شل مسيرة الثورة ، وبالتالي يمنع عملية التحول الاجتماعي بتأجيل ساعة تحرير المرأة.

وبقدر ما يكون ابتعاد الجماهير النسائية عن الأمميتين الثانية والثانية والنصف جسديا يكون انتصار الثورة الاجتماعية أمرا مضمونا. إن واجب النساء الشيوعيات هو إدانة المشككين بالتكتيك الثوري الذي تتبعه الأممية الثالثة ، وإبعاد هؤلاء المشككين عن الصفوف المتراصة للأممية الشيوعية.

وعلى النساء أن يتذكرن دائما أن الأممية الثانية لم تفكر بتاتا في إيجاد لجان غايتها النضال من أجل تحرير المرأة ، أما بالنسبة للاتحاد العالمي للنساء الاشتراكيات ، فقد تكوّن هذا الاتحاد بمبادرة العاملات الخاصة وخارج إطار الأممية الثانية.

لقد حددت الأممية الثالثة منذ مؤتمرها الأول عام 1919 موقفها من مسألة اشتراك النساء في النضال من أجل ديكتاتورية البروليتاري ، فقد عقد بمبادرة الأممية الثالثة وبمشاركتها المؤتمر الأول للنساء الشيوعيات. وفي عام 1920 تأسست الأمانة العامة العالمية للدعاوة بين النساء ، وتقرر تمثيلها الدائم في اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية. إن واجب العاملات الواعيات في كل البلدان هو قطع الصلة مع الأمميتين الثانية والثانية والنصف والإصرار بحزم على السياسة الثورية للأممية الثالثة.

- ح -:

إن الدعم الذي ستقدمه جماهير العاملات والمستخدمات للأممية الثالثة يجب أن يتمثل أولا بانضمامهن إلى صفوف الأحزاب الشيوعية في بلدانهن. أما في البلدان والأحزاب التي لم ينته فيها الصراع بعد بين الأممية الثالثة والأممية الثانية ، فإن واجب العاملات هو تقديم الدعم للحزب أو للفريق الذي يؤيد سياسة الأممية الثالثة ، وأن يناضلن أيضا دون هوادة ضد العناصر الخائنة والمترددة. إن البروليتاريات الواعيات والمناضلات في سبيل تحررهن لا ينبغي لهن البقاء داخل الأحزاب غير المنتمية إلى الأممية الثالثة.

إن كل عدو للأممية الثالثة هو عدو لتحرير المرأة.

إن واجب كل عاملة واعية في الشرق والغرب هو الانتظام تحت الراية الثورية التي ترفعها الأممية الثالثة. إن كل تردد من قبل العاملات في قطع العلاقات مع الجماعات الانتهازية أو مع السلطات المعروفة يؤخر انتصار البروليتاريا على صعيد معركة الحرب الأهلية التي تأخذ شكل حرب أهلية عالمية.

2- أساليب العمل بين النساء

انطلاقا من المبادئ التي سبق ذكرها يقرر المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية أن على الأحزاب الشيوعية في كل البلدان أن تعمل في صفوف البروليتاريا النسائية وعلى الأسس التالية:

1 ـ الانطلاق من المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة داخل الحزب والتنظيمات البروليتارية الأخرى (نقابات ، تعاونيات ، مجالس قدماء في المصانع).

2 ـ الأخذ بعين الاعتبار لأهمية مشاركة المرأة في كل أشكال نضال البروليتاريا (ومن ضمنها الكفاح المسلح) وأهمية تعريفها على الأسس الجديدة للمجتمع وعلى أشكال تنظيم الإنتاج بحسب المبادئ الشيوعية.

3 ـ النظر إلى الأمومة باعتبارها وظيفة اجتماعية والقيام بتطبيق كل الإجراءات الكفيلة بحماية المرأة بوصفها أماً.

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية بوقوفه ضد كل شكل من أشكال إقامة تنظيمات خاصة بالنساء داخل الحزب والنقابات والتجمعات ، يعرف كم هو ضروري بالنسبة للأحزاب الشيوعية اتباع أساليب خاصة للعمل بين النساء ، ويقدر فائدة إنشاء لجان خاصة لهذا العمل داخل كل حزب شيوعي. من هنا يجد المؤتمر نفسه مقودا بالاعتبارات التالية:

✦ استعباد المرأة داخل الأسرة ليس خاصا بالمجتمعات البرجوازية الرأسمالية بل إنه موجود أيضا في البلدان التي يسود فيها النظام السوفياتي وذلك أثناء مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية.

✦ القصور الذاتي الكبير والتأخر السياسي للجماهير النسائية هي نواقص تفسر كنتائج للابتعاد المزمن للمرأة عن الحياة الاجتماعية ولاستعبادها داخل الأسرة.

✦ الوظائف التي فرضتها الطبيعة نفسها على المرأة وما يستتبعها من خصوصيات ، يضاف إلى ذلك حاجتها إلى حماية ورعاية صحية أكبر لما فيه مصلحة المجتمع ككل.

إن الأجهزة الخاصة بالعمل بين النساء يجب أن تكون قطاعات أو لجان ملحقة بكل هيئات الحزب ابتداء من اللجنة المركزية وانتهاء بلجان المناطق والضواحي. وهذا القرار هو إجباري بالنسبة لكل الأحزاب المنتمية إلى الأممية الشيوعية.

إن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية يطلب من الأحزاب الشيوعية أن تنفذ بواسطة لجانها الخاصة بالعمل بين النساء المهمات التالية:

1 ـ تربية أوسع الجماهير النسائية بالروح الشيوعية وجر هذه الجماهير إلى صفوف الأحزاب الشيوعية.

2 ـ محاربة الأحكام المسبقة التي تطلقها النساء على جماهير البروليتاريا من الرجال ، وذلك بتعزيز فكرة التضامن بين العاملات والعمال بما فيه مصالح البروليتاريا من الجنسين.

3 ـ تقوية إرادة المرأة باستخدامها في كل أشكال ومظاهر الحرب الأهلية وإيقاظ حيويتها بإشراكها في النشاطات الجماهيرية وفي النضال ضد الاستثمار الرأسمالي في البلدان البرجوازية ضد غلاء المعيشة ، أزمة السكن ، البطالة ، وبإشراكها أيضا في تنظيم الاقتصاد الشيوعي ، وبشكل عام في كافة أوجه النشاط في الجمهوريات السوفياتية.

4 ـ وضع المسائل المتعلقة بحرية المرأة ، وبرعايتها كأم ، وضعها بشكل دائم في جدول أعمال الحزب والمؤسسات التشريعية.

5 ـ النضال ضد تأثير التقاليد والعادات البرجوازية والكنيسة بقصد إفساح الطريق أمام إقامة علاقات أكثر سموا وانسجاما بين الجنسين.

إن عمل جميع اللجان النسائية يجب أن يتم تحت الإشراف المباشر لهيئات الحزب وعلى مسؤولية هذه الهيئات.

ينبغي أن يوجد بقدر الإمكان رفاق من الذكور بين أعضاء اللجان العاملة في صفوف النساء ، حيث يكون للأحزاب الشيوعية وجود علني أو شبه علني ، على هذه الأحزاب أن تشكل جهازا للعمل بين النساء وأن يكون هذا الجهاز سريا ومرتبطا بالجهاز السري العام للحزب ، وفي هذا الجهاز كما في كل جهاز علني ، على كل لجنة أن تضم رفيقة تكون مهمتها توجيه الدعاية السرية بين النساء.

في المرحلة الراهنة يجب أن تكون النقابات ، والاتحادات المهنية المجال الرئيسي لعمل الشيوعيين بين النساء ، وذلك بالنسبة للبلدان التي لم تتخلص بعد من نير الاستثمار الرأسمالي أكثر مما هو بالنسبة للبلدان

التي تقام فيها جمهوريات العمال السوفييتية.

على العمل بين النساء أن يقوم تبعا للروحية التالية: وحدة بين الخط السياسي والتنظيم الحزبي. مبادرة حرة للجان والقطاعات في كل ما من شأنه أن يعطي للمرأة تحررها ومساواتها. ولكن هذا الأمر لا يتم إلا بنشاط الحزب كله ، فالمطلوب هنا تكميل جهود الحزب بنشاطات المرأة ومبادراتها الخلاقة وليس بإيجاد موازاة بين الحزب وبين لجان العمل النسائي.

3- العمل السياسي للحزب بين النساء في بلدان النظام السوفياتي

إن دور القطاعات النسائية في الجمهوريات السوفياتية هو تربية الجماهير النسائية بروح شيوعية بجر هذه الجماهير إلى صفوف الحزب الشيوعي ويتجلى هذا الدور أيضا في تنمية نشاط ومبادرة المرأة بجرها إلى العمل في بناء الشيوعية وبجعلها مدافعة صلبة عن الأممية الشيوعية.

على القطاعات أن تشرك المرأة في جميع مجالات التنظيم السوفياتي ابتداء من الدفاع العسكري عن الجمهورية وانتهاء بمجالات العمل الاقتصادي البالغة التعقيد. على القطاعات أن تسهر على تنفيذ مقررات المؤتمر الثالث لمجلس السوفيات والمتعلق بإشراك العاملات والفلاحات بتنظيم وبناء الاقتصاد الوطني بنفس المقدار الذي تسهر فيه على الأعضاء الذين يوجهون وينظمون ويديرون عملية الإنتاج. على القطاعات أن تتعاون في إعداد القوانين الجديدة وفي إدخال التعديلات على القوانين السارية وفقا لاحتياجات التحرر الفعلي للمرأة. وعليها أيضا أن تراقب وتختبر المبادرات الخاصة بهدف تطوير التشريعات التي تحمي حقوق المرأة. على القطاعات أن تشحذ أكبر عدد ممكن من العاملات والفلاحات في حملات انتخاب مجالس السوفييت وأن تأخذ بعين الاعتبار أن عددا من العاملات والفلاحات ينبغي انتخابهن في مجالس السوفييت واللجان التنفيذية.

ومن المهمات الملقاة على عاتق القطاعات تحسن ظروف العمل للنساء والتخصص في هذا العمل بنشر التعليم المهني الذي يزيل كثيرا من الصعوبات التي تعترض العاملات والفلاحات في عملهن.

وعلى القطاعات أن تسعى دائما لإدخال النساء إلى منظمات حماية العمل وأن تسعى أيضا لتعزيز نشاط منظمات رعاية الأمومة والطفولة.

وستسعى القطاعات لتطوير شبكة المنشآت العامة كدور الأيتام ومراكز غسل وتنظيف الألبسة ، ومشاغل تصليح السلع والأدوات المختلفة وبهذا تكون المؤسسات الجديدة والقائمة على أسس الشيوعية قد خففت عن المرأة بعضا من حمل المرحلة الانتقالية وقدمت لها استقلالها المادي وجعلت منها مشاركة في خلق الأشكال الجديدة للحياة بعد أن كانت مجرد خادمة وعبدة للأسرة.

على القطاعات أن تسعى لتسهيل تثقيف أعضاء النقابات من النساء بروح الشيوعية وذلك بواسطة منظمات العمل النسائي التي تشكل أجزاء من الحزب داخل النقابات نفسها وستحرص القطاعات أيضا على حضور العاملات الملتزم لاجتماعات ممثلي عمال المصانع والمعامل.

وستقوم القطاعات بتوزيع ممثلي الحزب كمتمرنين على جميع فروع العمل: السوفياتات ، الاقتصاد الوطني ، النقابات.

4- العمل السياسي للحزب بين النساء في البلدان الرأسمالية

إن الظروف الموضوعية هي التي تحدد المهمات المباشرة للجان العمل النسائي. وتتميز هذه الظروف بانهيار الاقتصاد العالمي واشتداد حدة البطالة وتضاؤل الحاجة إلى الأيدي العاملة النسائية وما يتبع ذلك من انتشار البغاء بين النساء ، وهناك أيضا غلاء المعيشة وأزمات السكن وخطر نشوب حرب إمبريالية ، يضاف إلى ذلك قيام الإضرابات المطلبية بشكل متواصل في جميع البلدان الرأسمالية والاتساع المستمر للرقعة التي يغمرها الجو الخانق للحرب الأهلية حتى تشمل العالم أجمع.

إن لجان العمل النسائي بمقاومتها لفصل المرأة عن الرجل ولاعتبار خصوصية وضع المرأة ، ستسعى ليس فقط لاعتبارها مساوية في الحقوق والواجبات للرجل داخل الحزب والنقابات والتنظيمات العمالية الأخرى ، بل أيضا لإيصالها عن طريق الانتخاب ، إلى الهيئات القيادية في هذه التنظيمات.

إن حصول المرأة على بعض حقوقها لا يعني تحررها الكامل ، ولكنه يؤدي إلى إضعاف الاستثمار الرأسمالي الذي تعاني منه ، لذلك فإن الحزب الشيوعي ولجان العمل النسائي ستسعى في الوقت الذي تطرح فيه نظام السوفيات كبديل للبرلمانية ، إلى تمكين العاملات والفلاحات من ممارسة حقوقهن الانتخابية حتى في الانتخابات البرلمانية وغيرها من الانتخابات الأخرى.

وعلى اللجان أن تبذل غاية الجهد في سبيل تمكين العاملات والمستخدمات والفلاحات من القيام بدور فعال وواع في انتخابات السوفياتات ، وفي انتخاب ممثلي العمال في المصانع ، وعليها أيضا أن تجهد في إيقاظ النشاط السياسي عند الخادمات وفي نشر فكرة السوفياتات خصوصا بين الفلاحات.

وعلى اللجان أن تكرس أكبر قسط من انتباهها لتنفيذ مبدأ الأجر المتساوي للعمل المتساوي ولكي تتمكن اللجان من جمع النساء حولها لا بد لها من إشعار المرأة بقيمتها الفعلية عن طريق محاضرات مبسطة ومفهومة من الجميع. على اللجان أن تحرص على إشراك النساء الشيوعيات في المؤسسات التشريعية والمجالس البلدية بهدف نشر سياسة الحزب الثورية في هذه المؤسسات. وأثناء اشتراكهن في المؤسسات التشريعية والمجالس البلدية وغيرها من أجهزة الدولة البرجوازية ، على الشيوعيات أن يتقيدن بحزم بمبادئ الحزب وتكتيكاته وعليهن أن لا ينهمكن في الركض وراء الإصلاحات التي يسمح بها النظام الرأسمالي من خلال طرحهن لمطالب الجماهير النسائية ، بل عليهن من خلال هذا الطرح إيقاظ نشاط هذه الجماهير وتوجيهها في طريق الصراع الثوري من أجل دكتاتورية البروليتاريا.

على اللجان أن تبقى على اتصال وثيق مع الشيوعيين داخل البرلمانات والمجالس البلدية ، وأن تتشاور معهم حول جميع المشروعات التي تتعلق بالنساء ، وعليها أيضا أن تجمع النساء حول المطالب التي يطرحها الحزب الشيوعي والتي تدعو إلى تحسين وضع الطبقة العاملة ، وذلك بتعريف النساء بالخصائص المتأخرة وغير الاقتصادية لنظام الخدمة المنزلية المنفصلة ، وبمساوئ التربية البورجوازية التي ينشأ عليها الأطفال.

على اللجان أن تنشط عملية انضمام العاملات من أعضاء النقابات إلى صفوف الحزب وعلى قطاعات الحزب الموجودة في هذه النقابات أن تفصل لهذه الغاية أعضاء مهمتهم تنظيم العمل بين النساء ، ويكون عملهم تحت الإشراف المباشر للحزب ولجانه المحلية.

على لجان العمل النسائي أن تقوم بالدعاوة بين

أعضاء التنظيمات العمالية وأن توصل الأفكار الشيوعية إلى قيادات هذه التنظيمات عن طريق الشيوعيات اللواتي يتوصلن إلى دخولها وذلك نظرا لما لهذه التنظيمات من أهمية كبرى أثناء الثورة وبعدها.

إن الهدف الوحيد الذي ينبغي لعمل اللجان أن يسعى إلى تحقيقه هو تنمية النشاط الثوري للجماهير بغية الإسراع بتنفيذ الثورة الاجتماعية.

5- العمل السياسي للحزب بين النساء في البلدان المتخلفة اقتصاديا (الشرق)

في البلدان ذات النمو الصناعي الضعيف على الحزب والقطاعات الحزبية النسائية أن تحصل على اعتراف بالمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة ، داخل النقابات والتنظيمات العمالية الأخرى.

وعلى القطاعات واللجان الحزبية النسائية أن تحارب التعصب والأخلاقيات والعادات التي يفرضها الدين على المرأة ، وأن تقوم في سبيل ذلك بالدعاوة حتى في صفوف الرجال.

وعلى الحزب الشيوعي وقطاعاته ولجانه أن تطبق أحكام المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة في مجال تربية الأطفال والعلاقات العائلية وفي الحياة العامة.

على القطاعات أن تبحث عن مرتكزات لعملها قبل كل شيء بين جماهير الحرفيات اللواتي يعملن في منازلهن ، والعاملات اللواتي يشتغلن في زراعة الأرز والقطن وغير ذلك ، وأن تنشط بقدر الإمكان لإنشاء المشاغل الجماعية والتعاونيات الصناعية الصغيرة (بشكل خاص بين شعوب الشرق التي تعيش في أقاصي روسيا السوفييتية) وأن تسعى أيضا لتأسيس نقابات تضم العاملات الزراعية. إن رفع المستوى الثقافي للجماهير هو من أفضل الوسائل لمحاربة الروتين والتعصب الديني السائد في بلدان الشرق. لهذا على اللجان الحزبية أن تعمل على فتح المدارس أمام الكبار والصغار على السواء وأن تسهل عملية دخول النساء إلى هذه المدارس ، هذا في بلدان الشرق السوفييتي ، أما في البلدان البرجوازية فعلى اللجان النسائية أن تحرض بشكل مباشر ضد تأثير الفكر البرجوازي على المدارس والتعليم.

وفي إطار الدعاوة التي تقوم بها لجان الحزب النسائية وقطاعاته ، لا بد من إقامة النوادي ودعوة العاملات إليها ، وبشكل خاص أكثرهن تخلفا من الناحية الثقافية ، وينبغي لهذه النوادي أن تكون بمثابة مراكز نموذجية للتثقيف والتعليم والتنظيم وقادرة على إبراز ما تستطيع المرأة عمله من أجل تحررها واستقلالها ، ويمكن في هذا المجال إقامة وتنظيم (دور الحضانة ، حدائق الأطفال والمدارس الابتدائية لتعليم الكبار). أما عند الشعوب التي لا تزال تعيش حياة البداوة فيمكن إقامة نواد متنقلة.

في البلدان ذات النظام السوفييتي على القطاعات الحزبية النسائية بالتعاون مع الأحزاب الشيوعية أن تسهل عملية الانتقال من الاشتراكية إلى الشيوعية بوضع المرأة أمام الحقيقة البديهية القائلة بأن وضعها كخادمة في العائلة مهما كانت الأشكال التي ارتداها هذا الوضع حتى الآن ليس بوسعه إلا أن يزيد من عبوديتها في حين أن العمل الجماعي يحررها نهائيا.

على القطاعات الحزبية النسائية في هذه البلدان أن تسهر أيضا على أن تضع في موضع التنفيذ التشريعات السوفياتية التي تساوي بين الرجل والمرأة ، وتدافع عن حقوق الأخيرة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف على

القطاعات أن تفسح المجال أمام النساء للوصول إلى مناصب القضاة في المحاكم الشعبية.

كذلك على القطاعات أن تشرك النساء في انتخابات مجالس السوفييت وأن ترعى وصول العاملات والفلاحات إلى هذه المجالس وإلى اللجان التنفيذية. إن العمل في صفوف البروليتاريا النسائية في الشرق ، يجب أن يقوم على أساس الصراع الطبقي ومن هنا ينبغي كشف عجز النسوية عن إيجاد حلول مختلف المشاكل التي تطرحها مسألة تحرير المرأة. وفي هذا المجال يمكن استخدام القوى الفكرية النسائية (المدرسات مثلا) لنشر التعليم في بلدان الشرق السوفييتي. وعلى لجان الحزب وقطاعاته أن تناضل علنا ضد تأثير الدين والنزعات الفوقية على النفوس وأن تتحاشى أثناء هذا النضال الصداقات الفجة والمفتقرة إلى الليونة مع المعتقدات الدينية والتقاليد القومية.

إن تنظيم العاملات في الشرق كما في الغرب لا ينبغي له أن يقوم على أساس الدفاع عن المصالح القومية ، بل على أساس اتحاد البروليتاريا العالمية من الجنسين من أجل تحقيق المهمات المشتركة للطبقة العاملة.

نظرا للأهمية الكبرى التي يتمتع بها العمل مع نساء الشرق ، ولكون هذا العمل يطرح قضايا جديدة كل الجدة أمام الأحزاب الشيوعية ، فإن الغوص في تفصيلاته يجب أن يتم انطلاقا من معرفة خاصة بطرائق العمل التي تتلاءم مع ظروف بلدان الشرق. من هنا فإن معرفة طرائق العمل وأساليبه ، يجب أن تتم جنبا إلى جنب مع معرفة موضوعات العمل.

أساليب التحريض والدعاوة ، لكي تتمكن قطاعات العمل النسائي من إنجاز مهمتها الأساسية ، أي تثقيف أوسع جماهير البروليتاريا النسائية بالثقافة الشيوعية ، ومن ثم توسيع منظمات الحزب ، لابد للأحزاب الشيوعية في الشرق والغرب من استيعاب المبدأ الأساسي لكل عمل بين النساء أي مبدأ «التحريض والدعاوة بالعمل». والتحريض بالعمل يعني مثل كل شيء إطلاق مبادرة العاملات ، والقضاء على عدم ثقتهن بقواهن الخاصة ، ويتم ذلك بتوجيههن نحو النشاط العملي في مجالات التنظيم وغيرها من مجالات النضال ، بهدف إقناعهن بحقيقة أن كل انتصار للحزب الشيوعي ، وكل نشاط ضد الاستثمار الرأسمالي هو تقدم من شأنه تحسين وضع المرأة. من هنا يتضح الأسلوب الذي ستتبعه الأحزاب الشيوعية وقطاعاتها النسائية في عملها مع النساء: «من الممارسة العملية إلى المعرفة النظرية للمثل العليا للشيوعية».

ولكي تكون القطاعات لجانا للعمل وليس لمجرد الدعوة الكلامية ، عليها أن تركز على الخلايا الشيوعية الموجودة في الورش والمعامل ، وأن توكل مهمة العمل بين عاملات هذه الورش وهذه المعامل إلى منظم خاص تأخذه من الخلايا التي سبق ذكرها.

إن نشر الفكر الشيوعي بالعمل يتم في روسيا السوفييتية بإدخال العاملة والفلاحة والمستخدمة إلى جميع التنظيمات السوفييتية ابتداء من الجيش والمليشيا وانتهاء بالمؤسسات الخاصة بتحرير المرأة كمؤسسات التغذية العامة ومؤسسات التوجيه الاجتماعي ومؤسسات رعاية الأمومة.. الخ ، وهناك مهمة ذات أهمية خاصة ألا وهي إشراك العاملة في كل أشكال البناء الاقتصادي.

أما الدعاوة بالعمل فإنها تتم في البلدان الرأسمالية بجر العاملات إلى مختلف أشكال الإضرابات والتظاهرات والعصيانات المسلحة التي من شأنها أن تعمق الوعي الثوري عند العاملات كذلك يمكن أن تتم الدعاوة من خلال العمل السياسي بأشكاله المختلفة وخاصة العمل السري في دوائر الارتباط. ثم في تنظيم أيام السبت والأحد الشيوعية ، حيث تعرف العاملة والمستخدمة كيف يمكنها بالعمل الطوعي أن تكون نافعة للحزب.

إن مبدأ إشراك النساء في الحملات السياسية والمطلبية التي ينظمها الحزب الشيوعي يؤدي إلى نفس النتائج التي تؤدي إليها الدعاوة بالعمل. لذلك على لجان الدعاوة التابعة للأحزاب الشيوعية أن توسع من مجالات نشاطها لتشمل أكثر الجماهير النسائية تعرضا للاستغلال في البلدان الرأسمالية ولتحرر أذهان بعض النساء في الجمهوريات السوفييتية من خرافات ومن مخلفات النظام الاجتماعي البائد. وعلى اللجان أن تهتم أيضا بحاجات وآلام ومطالب الحركة النسائية لأن هذا الاهتمام هو الذي يقنع النساء بأن الرأسمالية يجب أن تسحق كعدو لدود وبأن جميع الطرق يجب أن تمهد أمام الشيوعية كمحرر ومخلص بالنسبة لهن.

إن توجيه الدعاوة والتحريض بشكل منهجي يمكن أن يتم بقيام قطاعات العمل النسائي بإيجاد وتنظيم اتحادات عامة على مستوى ضاحية أو منطقة من مدينة وتضم المستخدمات والعاملات في شتى فروع الصناعة.

في التعاونيات والرابطات على العاملات الشيوعيات أن ينتخبن رفيقات مهمتهن التحريض والتنظيم في صفوف هذه التنظيمات. وعلى القطاعات في الجمهوريات السوفييتية أن تعمل من أجل انتخاب العاملات إلى مجالس المصانع وكل الهيئات الموكلة إليها مهمة إدارة ومراقبة وتوجيه عملية الإنتاج. باختصار ينبغي إيصال العاملات عن طريق الانتخاب إلى جميع التنظيمات والمؤسسات التي يمكن استخدامها في البلدان الرأسمالية أثناء استيلاء البروليتاريا على السلطة ، وفي الجمهوريات السوفييتية لحماية ديكتاتورية البروليتاريا وبناء الشيوعية.

على اللجان أن تضع في المصانع الكبيرة ، كعاملات ومستخدمات ممثلات عنها من النساء الشيوعيات المجربات ، وأن تضع أيضا كما يحدث في الجمهوريات السوفييتية رفيقات مماثلات في المراكز والتجمعات البروليتارية الكبرى.

على القطاعات النسائية في البلدان الرأسمالية أن تحتذي بالحزب الشيوعي في روسيا السوفييتية الذي ينظم لممثلي العمال اجتماعات وندوات تلاقي بشكل دائم نجاحات منقطعة النظير وأن تقوم بدورها بتنظيم اجتماعات عامة للعاملات والشغيلات والفلاحات والمستخدمات تناقش فيها حاجات ومطالب المرأة الكادحة ، وأن تنتخب لجانا خاصة كفوءة تماما لمتابعة هذه المطالب. وعلى القطاعات أيضا أن تعمق في هذه الاجتماعات البحث في المسائل التي تثار بينها وبين اللجان المنتخبة من قبل العاملات. بالإضافة إلى هذا على القطاعات أن ترسل خطباءها للاشتراك في المناقشات التي تجري في اجتماعات الأحزاب الغريبة عن الشيوعية. إن الدعاوة والتحريض من خلال الاجتماعات والنشاطات المشابهة يجب أن يتبعهما تحريض مبرمج ومطول داخل البيوت نفسها ، فعلى كل شيوعية مكلفة بهذه المهمة أن تقوم بزيارات منتظمة لعشر نساء على الأكثر بمعدل زيارة على الأقل كل أسبوع ولدى كل عمل مهم يقوم به الحزب الشيوعي والجماهير البروليتارية.

وعلى القطاعات أن تنشر الأفكار الشيوعية بشكل مبسط وملائم بواسطة توزيع الكراسات والبيانات «المناشير» التي من شأنها أن تحث الجماهير النسائية وتوحدها. وعلى القطاعات أن تتأكد من قيام النساء الشيوعيات باستخدام مؤسسات الحزب ووسائل التوعية العائدة له بالطرق الأكثر فعالية وأن تقيم المحاضرات والمناقشات وتدعو إليها الشيوعيات المتخلفات نسبيا والنساء الكادحات اللواتي لا يزلن في أول عهدهن بالنشاط الثوري وذلك بهدف تعميق وعيهن وشحذ إراداتهن. ويمكن أن تقام للعاملات ، دون العمال ، سهرات للمطالعة والمناقشة وذلك في بعض الحالات الخاصة.

ومن المرغوب فيه ، كي تنمو روح الرفاقية بين العامل والعاملة أن لا تقام للنساء الشيوعيات مدارس

حزبية خالصة ، إذ من المفروض أن تقدم موضوعات حول العمل بين النساء في كل مدرسة من مدارس الحزب. ويحق لقطاعات الحزب النسائية أن ترسل عددا من ممثليها للمساهمة في مناقشة الموضوعات التي يطرحها الحزب.

6- تنظيم القطاعات النسائية

تنظم لجان للعمل النسائي إلى جانب لجان المناطق والمقاطعات وإلى جانب اللجنة المركزية للحزب. يحدد الحزب عدد أعضاء القطاع ، ويتمتع الحزب المنتشر في أكثر من بلد بالحرية الكاملة في تحديد عدد أعضاء القطاعات التابعة له وذلك حسب ظروفه الخاصة. المسؤولة عن القطاع يجب أن تكون في نفس الوقت عضوا في لجنة الحزب المحلية ، وفي حال عدم تمكنها من الجمع بين المسؤوليتين ، عليها أن تحضر جلسات اللجنة المحلية دون أن يكون لها الحق بالتصويت إلا على المسائل المتعلقة بالقطاع النسائي ، ويكون حضورها بصفة استشارية في المسائل الأخرى. بالإضافة إلى المهمات العامة والتي سيرد ذكرها يجب على القطاعات واللجان النسائية أن تملأ الوظائف التالية: ربط مختلف القطاعات الموجودة في منطقة معينة بالقطاع المركزي. عقد اجتماعات يتم التعرف من خلالها على نشاط القطاعات واللجان العاملة في منطقة معينة وبين القطاع المركزي. إيصال خط الحزب إلى المناطق والمقاطعات البعيدة. توزيع القوى العاملة في مجال التحريض. وضع قوى الحزب العاملة في صفوف النساء في حركة دائمة. عقد مؤتمرات منطقية للنساء الشيوعيات مرتين في العام على الأقل ومؤتمرات لممثلات القطاعات ، على أن تكون نسبة التمثيل من عضو إلى عضوين عن كل قطاع. وأخيرا عقد اجتماعات للعاملات والفلاحات غير الحزبيات.

يضم كل قطاع منطقي (في الأقاليم البعيدة) من خمسة إلى سبعة أعضاء ، ويتم تعيين أعضاء المكتب (السكرتاريا) من قبل هيئة الحزب المسؤولة في المنطقة ، وبحضور مسؤولة القطاع التي يتم انتخابها كسائر أعضاء اللجنة المنطقية ، في مؤتمر الحزب المنطقي.

أعضاء القطاعات واللجان ينتخبون في المؤتمر العام للمدينة أو المنطقة أو الإقليم ، ويمكن أيضا أن يتم تعيينهم من قبل الهيئات الأعلى مباشرة ، كأعضاء في لجان تابعة للجان الحزب الرئيسية. تضم اللجنة المركزية للعمل بين النساء من عضوين إلى خمسة أعضاء بينهن متفرغة واحدة على الأقل.

إن مهمات لجنة العمل النسائي المركزية والتي تنفصل عن مهمات القطاعات المنطقية والتي سيرد ذكرها هي التالية: تقديم التوجيهات إلى المحليات والأعضاء العاملين فيها. مراقبة عمل القطاعات. تزويد هيئات الحزب في المناطق برفيقات من العاملات في صفوف النساء. مراقبة ظروف وتطور العمل النسائي على ضوء التحولات الاقتصادية والقانونية وأثرها على وضع المرأة. السماح لممثلي السلطة بحضور اجتماعات اللجان الخاصة التي تدرس التحسنات التي تلحق بوضع الطبقة العاملة وبمنظمات حماية العمل والطفولة... وغيرها. إصدار نشرة مركزية وجرائد دورية ووضعها في متناول العاملات. عقد مؤتمر لممثلات جميع الأقاليم مرة في السنة على الأقل. تنظيم رحلات للدعاوة عبر البلاد. إرسال متمرسين في العمل النسائي إلى قطاعات المناطق. دفع العاملات للاشتراك في الحملات السياسية والمطلبية التي ينظمها الحزب. إقامة صلة دائمة مع

الأمانة العامة العالمية للنساء الشيوعيات. وإقامة احتفال سنوي بيوم العاملة العالمي.

إذا لم تكن المسؤولة عن القطاع النسائي التابع للجنة المركزية عضوا في هذه اللجنة ، فإن لها الحق بحضور جلساتها ، والتصويت على المسائل المتعلقة بالقطاع ، أما بالنسبة للمسائل الأخرى فإن حضورها يكون بصفة استشارية. ويمكن للمسؤولة عن القطاع النسائي المركزي أن تعين من قبل اللجنة المركزية أو أن تنتخب من قبل المؤتمر العام للحزب. ولا تصبح قرارات اللجان النسائية نافذة إلا بعد موافقة اللجان الحزبية الأعلى مباشرة.

7- العمل على الصعيد العالمي

إن قيادة عمل الأحزاب الشيوعية في كل البلدان ، وتوحيد القوى العمالية ، وتحقيق المهمات الملقاة على عاتق الأممية الثالثة ، وحشد نساء كل البلدان وكل الشعوب في النضال الثوري من أجل سلطة السوفيات وديكتاتورية الطبقة العاملة على الصعيد العالمي ، هي مهمات الأمانة العامة العالمية للنساء الشيوعيات والعاملة إلى جانب الأممية الثالثة.

إن عدد أعضاء اللجنة المركزية النسائية وعدد الأعضاء الدين يتمتعون بحق التصويت ، يحدد من قبل اللجنة المركزية للحزب.

8- قرار حول العلاقات بين النساء الشيوعيات في العالم و بين الأمانة العامة النسائية للأممية الشيوعية (1)

(أقر في جلسة 12 حزيران بعد تقرير الرفيقة ألكسندرا كولونتاي وتعديل الرفيقة كلارا زيتكين).

انطلاقا من توجيهات الأممية الثالثة يقترح المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات على الأحزاب الشيوعية في بلدان الشرق والغرب أن تنتخب بواسطة قطاعاتها النسائية المركزية مراسلات عالميات. إن دور مراسلة الحزب الشيوعي كما تعينه توجيهات الأممية الثالثة ، هو إقامة علاقات منتظمة مع المراسلات العالميات للأحزاب الأخرى ومع الأمانة العامة العالمية النسائية في موسكو التي هي جهاز عمل اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة. وعلى الأحزاب الشيوعية أن تزود المراسلات بكل الوسائل التكنيكية ، وبكل الإمكانيات التي تسهل الاتصال فيما بينهن ومع الأمانة العامة في موسكو.

تجتمع المراسلات العالميات مرة كل ستة أشهر لكي تتبادل الآراء مع ممثلي الأمانة العامة العالمية للنساء. وتستطيع الأمانة العامة أن تدعو لعقد اجتماع المراسلات تبعا للضرورة وفي أي وقت كان.

وتقوم الأمانة العامة وبموافقة اللجنة التنفيذية وبالمشاركة الكاملة للمراسلات العالميات بتنفيذ المهمات التي حددتها توجيهات الأممية. وعليها بشكل خاص أن تناضل في كل بلد ، قولا وفعلا ، من أجل تنمية الحركة النسائية الشيوعية التي لا تزال ضعيفة ، وأن تحدد اتجاها واحدا لسير هذه الحركة في بلدان الشرق والغرب ، وأن تثير وتقود النشاطات الوطنية والعالمية التي من شأنها أن تقوي وتوسع النضال الثوري للبروليتاريا.

وعلى الأمانة العامة في موسكو أن تقيم جهازا مساعدا لها في أوروبا الغربية ، بهدف إيجاد ارتباط أكثر وثوقا وانتظاما مع الحركات الشيوعية النسائية في كل

البلدان. وستكون وظيفة هذا الجهاز القيام بالأعمال التحضيرية والمكملة لعمل الأمانة العامة أي أنه سيكون جهازا تنفيذيا صرفا وليس له الحق في تقرير ما يكون ، فهو مرتبط بتوجيهات ومقررات الأمانة العامة في موسكو ، وباللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية. وينبغي أن تقوم ممثلة واحدة على الأقل للأمانة العامة بمساعدة الجهاز المساعد والعامل في أوربا الغربية.

إذا ابتعد نشاط الأمانة العامة عن توجيهات الأممية تتدخل اللجنة التنفيذية للتصحيح من خلال علاقتها بهذه الأمانة ، ويحدث الشيء نفسه بالنسبة لتركيب وشكل عمل الجهاز المساعد.

9- قرار حول أشكال وأساليب العمل الشيوعي بين النساء (2)

إن المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات والمنعقد في موسكو يعلن:

إن انهيار الاقتصاد الرأسمالي والنظام البورجوازي المرتكز على هذا الاقتصاد ، وبالمقابل تقدم الثورة العالمية ، تجعل من النضال الثوري من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية وتحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ، ضرورة حيوية أكثر إلحاحا من أي وقت مضى ، بالنسبة لبروليتاريا البلدان التي لا يزال يسود فيها هذا النظام ، كما أنها تجعل من هذا النضال ، واجبا لا يمكن تحقيقه إلا بالمشاركة الواعية والجريئة والمخلصة للجماهير النسائية.

في البلدان التي تمكنت فيها البروليتاريا من الاستيلاء على جهاز الدولة وإقامة ديكتاتوريتها على شكل السوفياتات ، كما في روسيا وأوكرانيا ، لا يمكن للبروليتاريا أن تباشر في توطيد مواقعها ضد الثورة المضادة في الداخل والخارج ، وأن تشرع في بناء الشيوعية ، طالما أن الجماهير النسائية لم تع بشكل واضح وثابت ، أن الدفاع عن النظام الجديد هو في صميم مهماتها أيضا.

ومن هنا فإن المؤتمر العالمي الثاني للنساء الشيوعيات انسجاما منه مع مبادئ ومقررات الأممية الثالثة ، يقترح على الأحزاب الشيوعية في كل البلدان أن تتبنى مهمة إيقاظ الجماهير النسائية ، وتوحيدها وتثقيفها بروح الشيوعية ، وأن تضمها إلى صفوف الأحزاب الشيوعية ، وأن تشحذ بثبات وعزم إرادة هذه الجماهير على العمل والنضال.

ولبلوغ هذا الهدف على الأحزاب المنتمية إلى الأممية الثالثة أن تشكل إلى جانب جميع أجهزتها ومؤسساتها الدنيا منها والعليا ، أن تشكل قطاعات نسائية يقودها أحد أعضاء قيادة الحزب ، وذلك بهدف تحريض وتنظيم وتوعية جماهير العاملات اللواتي سيكون لهن ممثلات في كل الهيئات القيادية للحزب.

القطاعات النسائية لا تشكل تنظيمات مستقلة ، فهي ليست إلا أجهزة عمل مهمتها تحريك العاملات وتوعيتهن بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية وبناء الشيوعية ، وهذه القطاعات تعمل في كل المجالات وفي كل الأوقات ، تحت إشراف الحزب ، ولكنها تتمتع بحرية الحركة الضرورية لإنشاء مؤسساتها التي تراعي الخصائص المميزة للمرأة ووضعها الخاص الذي لا يزال قائما في المجتمع والأسرة.

على الأجهزة النسائية أن تعي دائما وفي كل نشاطاتها الغاية من وراء تحقيق مهمتها المزدوجة التالية:

1 - حشد المزيد من الجماهير النسائية الأكثر وعيا والأكثر تصميما على المشاركة في نضال الطبقة الثورية وفي نضال كل المضطهدين والمستغلين ضد الرأسمالية ومن أجل الشيوعية.

2 -ـ بعد انتصار الثورة البروليتارية ، ينبغي جر الجماهير النسائية للمشاركة ببطولة ووعي في بناء الشيوعية. وعلى الأجهزة النسائية في الأحزاب الشيوعية أن تأخذ بعين الاعتبار أن وسائل التحريض والتوعية ليست في الكتابات والأحاديث بل في إتباع الوسائل التالية: إشراك النساء الشيوعيات في كل مجالات نشاط الأحزاب الشيوعية ، وإشراك العاملات في كل أعمال ونضالات البروليتاريا الثورية من إضرابات وتظاهرات وعصيانات وانتفاضات مسلحة.

الحواشي

1 ـ أقر في جلسة 12 حزيران بعد تقرير الرفيقة ألكسندرا كولونتاي وتعديل الرفيقة كلارا زيتكين.

2 ـ أقر في جلسة 13 حزيران بعد تقرير الرفيقة كولونتاي.